روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

٦٢

سادة الأعماق

ملف المستقبل ● سادة الأعماق ● ٦٢ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى



المؤلف

د. نبيل فاروق

سادة الأعماق

- متى يستيقظ (نور) و (سلوى) من غيبوبتهما العميقة ؟
- هل يمكن أن توجد مخلوقات عاقلة ، على عمق كيلومترين من سطح المحيط الأطلنطى ؟
- كيف يواجه (رمزى) وحده هذه المغامرة أيضًا ، ضد (سادة الأعماق) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع الفريق فى الأحداث ..

٦٢

الثمن فى مصر ٩٠ ق وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : المحيط الملتهب



١ ـ المجهول ..

أطلق (رمزى) ، من أعمق أعماق صدره زفرة قويَّة ، وهو يتطلَّع إلى المحيط الأطلنطى الممتد أمامه ، مستندًا إلى حاجز الحوَّامة الجّوبرمائيَّة (الهوفركرافت)[*] ، التى تشق به المحيط ، فى طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى الأيام الأولى لصيف عام ألفين وأحد عشر .

وفى هدوء اقتربت منه (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، واستندت بدوْرها إلى حاجز الحوَّامة ، وراحت تشاركه تطلُّعه إلى المحيط فى صَمْت ، وقد اكتست عيناها بذبول بائس حزين ، شاركتها فيه عينا (رمزى) ، وهو يمسح بكفِّه على شعرها الناعم المسترْسِل ، فى حنان وتعاطُف ..

كان قد مضى عام كامل ، منذ سقط (نور) و (سلوى)

(*) الهوفركرافت : نوع من المرْكبَات الحديثة ، يعتمد على صُنْع وِسادة هوائية أسفله بدفع الهواء القوىّ ؛ لذا فهى تصلح للسير فى البحر والبرّ ، وهى دومًا معلَّقة على وسادتها الهوائية جوًّا .

فى غيبوبتهما العميقة المجهولة ، لدى عودتهما من أرض العمالقة[*] ، ومنذ تولَّى (رمزى) أمر ابنتهما (نشوى) ، التى بلغت العاشرة من عمرها ، واكتست حياتها بالحزن على والديها ، والأمل فى عودتهما إلى وعيهما يومًا ..

وفيما مضى ، كان السؤال التقليدىّ لـ(نشوى) هو : « متى يعودان إلى وعيهما ياعمِّى (رمزى) » ، أما الآن فلم تعُدْ (نشوى) تُلقِى هذا السؤال ، كانت تكتفى بزيارة والديْها بانتظام فحسب ، والوقوف أمامهما بالساعات ، فى صمْت حزين ..

لقد نضجت الطفلة قبل الأوان ..

أنضجتها تجربة الألم والمَرارة ..

أنضجها الحزن ..

وفى ذلك اليوم ، وهى تتطلَّع إلى المحيط الممتدّ ، إلى جوار (رمزى) ، امتلأ عقلها بصورة والديْها ، فانحدرت على وجنتيها دَمْعَة ساخنة ، اعتصرت قبضة قويَّة قلبها الصغير ، وكادت تجهش ببكاء حارّ ، ولكنَّها تماسكت ، وبحثت عن

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

وسيلة للفرار من الذكرى ، مما دعاها إلى أن تلتفت إلى (رمزى) ، وتسأله فى اهتمام :

ـــ هل ستتغيَّب طويلًا فى الولايات المتحدة ياعمِّى (رمزى) ؟

ابتسم فى حنان ، وهو يجيبها فى هدوء :

ـــ أسبوع واحد فقط يا (نشوى) ، سنحضر معًا مؤتمر الأطباء النفسانيين الدولىّ ، ثم نعود إلى (القاهرة) .

أجبرت نفسها على الابتسام ، وهى تقول :

ـــ المهمّ ألَّا تضيع إجازتى .

ضحك ، وهو يقول :

ـــ ومن قال إنها ستضيع ؟.. لقد رفضت الذهاب إلى (أمريكا) بالطائرات النوويَّة ، وكانت رحلتنا بها ستستغرق ساعة واحدة فحسب ، وفضَّلت أن تستغرق رحلتنا ثلاثة أيام كاملة ، على متن (هوفركرافت) ، لأمنحك رحلة بحريَّة لطيفة فى الوقت ذاته ، ألا تعتبرين ذلك جزءًا من الإجازة ؟

ضحكت ، وهى تقول :

ـــ بالتأكيد .

ثم عادت إلى عينيها تلك النظرة الحزينة ، وهى تُرْدِف :

ــ وإن كنت أتمنّى لو شاركنى فيها ......

بترت عبارتها ، وكأنها تخشى النطق بالنصف الثانى منها ، ولكنه فهم ما تقصده ، فربَّت على رأسها فى حنان ، وقال :

ــ ربّما فى المرّة القادمة .. ربّما .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت قُبطان (الهوفركرافت) ، وهو يقول :

ــ إلى المسافرين على متن حوّامتنا السياحيّة الفاخرة ، نتمنّى أن تكونوا قد استمتعتم برحلتكم معنا حتى الآن .. ويسرُّنى أن أعلن عن جزء جديد ، يضاف لأوَّل مرّة إلى برنامج الرحلة .. ألا وهو (نزهة الأعماق) .

كان صوته يتردَّد عَبْرَ عشرات من مكبِّرات الصوت ، ذات درجة النقاء العالية ، التى تمنح صوته رنينًا أنيقًا ، جذب انتباه الجميع ، وشدُّهم إلى سماع حديثه ، وهو يستطرد :

ــ وبرنامجنا الجديد فريد من نوعه ، فأنتم تعلمون جميعًا أن المحيط الأطلنطى هو أكثر المحيطات عمقًا ، وغموضًا ، وأن عمقه قد بلغ فى بعض المناطق ، ومنها تلك المنطقة ، التى توقَّفنا فيها الآن ، سبعة كيلومترات .. ومنذ الأزل ، لم يتجاوز هبوط البشر الأحياء ، فى تلك الأعماق ، الكيلومتر الواحد ..

واليوم سنصل بكم نحن إلى عمق كيلومترين كاملين ، حيث لم يصل بشر من قبل ، فى رحلة سياحيّة نادرة ، تشاهدون فيها مخلوقات الأعماق النادرة .

صفَّقت (نشوى) بكفَّيها فى جَذَل ، وهى تهتف فى لَهْفة :

ــ سنذهب إلى الأعماق يَا عمِّى (رمزى) .. أليس كذلك ؟

ربَّت على رأسها فى حنان ، وهو يغمغم :

ــ بالتأكيد .. فقط استمعى إلى ما يقوله القُبْطان .

عادا يستمعان إلى القُبْطان ، الذى راح يتابع فى حماس :

ــ وستستقِلُّون فى رحلتكم إلى الأعماق غواصتنا الحديثة (ق ــ ١) .. التى أعْدَدْناها خصِّيصًا لكم ، لنضمن أمنكم وسلامتكم ، و (ق ــ ١) مصنوعة من معدن شديد الصَّلابة والتحمُّل .. هو سبيكة من الفولاذ والنِّيكل و (الجرامنيوم) .. ذلك المعدن الحديث ، الذى تصنع منه المقاتلات الفضائية ، والذى تم كشفه فى بداية قرننا الحادى والعشرين ، ولها نوافذ مصنوعة من زجاج بسمك ست بوصات ، يقاوم الضغط عن طريق ضغط هوائىّ محسوب بدقَّة متناهية .. وغواصتنا (ق ــ ١) مزوَّدة برصيد من الهواء

النقىّ المتجدِّد ، عن طريق كابل ضخم ، يتصل بحوّامتنا مباشرةً ، ويحوى فى داخله ، بالإضافة إلى أنبوب تجديد الهواء ، الأسلاك اللازمة لنقل الصور ، التى تلتقطها (ق ـــ ١) للأعماق .. ستضىء (ق ـــ ١) فى قاع المحيط الأطلنطى كشمس صغيرة ، لتضمن لكم جَوْدة الرُّؤية ، حيث يسود الظلام التامّ فى ذلك العمق ، الذى ستصل إليه ..

كان حديثه ، ولهجته الحماسية يشعلان لهفة المستمعين وحماسهم ، حتى صار كل منهم يتمنّى لو غاص داخل (ق ـــ ١) إلى الأعماق ، حتى أضاف القُبْطان :

ـــ ولتأكيد مدى قوّة غواصتنا ، وأمنها ، سنفتتح رحلاتها برحلة خاصة للأطفال دون الحادية عشرة من عمرهم .. وسنمنحهم الفرصة ليكونوا أوّل روّاد للأعماق .

صاح عشرات الأطفال فى سعادة وحماس ، والقبطان يردِّد :

ـــ نريد ثلاثة أطفال .. الروّاد الثلاثة الأوائل .

هتف الجميع يرشحون أنفسهم للرحلة ، وصاحت (نشوى) فى لهفة ، وهى تتشبَّث بذراع (رمزى) :

ـــ سأذهب يا عمّى (رمزى) .. أرجوك .

تردَّد ، وهو يقول :

ـــ كلَّا .. إنها رحلة مخيفة ، وأخشى أن ....

قاطعته فى رجاء :

ـــ أرجوك يا عمّى (رمزى) .. إنها فرصة نادرة .. سأصبح أولى رائدات الأعماق .

ابتسم فى قلق ، وهو يقول :

ـــ ولكن ماذا لو ....؟

قاطعته فى غضب :

ـــ لا تصنع المخاوف جزافًا يا عمّى (رمزى) .. لو أن أبى هنا لوافق على الفور و....

بترت عبارتها بغتة ، حينما أدركت كم ستؤلمه كلماتها ، وارتسم الأسف على وجهها ، وهى تقول .

ـــ معذرة يا عمّى (رمزى) .. لم أكن أقصد .

ربَّت على رأسها فى حنان ، وحزن ، وهو يقول :

ـــ ولكنك كنت على حقّ .. لم يكن (نور) ليمانع .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ـــ ستذهبين إلى الأعماق بإذن الله يا (نشوى) .. ستذهبين .

تهلّلت أساريرها ، واندفعت نحو حجرة القُبْطان ؛ لتسجّل اسمها ، فى تلك الرحلة إلى المجهول ..

رحلة الذهاب ..

الذهاب فقط ..

* * *



٢ ـ الرِّسالة ..

كانوا ثلاثة أطفال ، فى العاشرة من عمرهم ، يهبطون داخل (ق ـ ١) إلى أعماق المحيط الأطلنطى ..

(طارق) ، و (هشام) و .. (نشوى) .. ابنة (نور) و (سلوى) ..

وبينما بدأت (ق ـ ١) رحلتها ، كانت جدرانها السميكة تفصل ما بين نوعين مختلفين ، متناقضين من المشاعر ..

لهفة وسعادة ، فى نفس (نشوى) ..

وقلق وتوتُّر ، فى قلب (رمزى) ..

وهبطت (ق ـ ١) ..

وارتجف جسد (رمزى) ..

ارتجف لحظة ، حينما غاصت الغوّاصة فى الأعماق ، ثم زفر فى قوّة ، وغمغم :

ـ أظن أن (نور) لم يكن ليعترض .



وبينما بدأت (ق ــ ١) رحلتها ، كانت جدرانها السميكة تفصل ما بين نوعين مختلفين ، متناقضين من المشاعر .

عاد يزفر فى قوّة ، ثم اتجه نحو ساحة العرض ، واتخذ مَقْعَده أمام شاشة ضخمة ، تنقل للجالسين على سطح الحوّامة ، كل ما يراه الأطفال الثلاثة ، وهم يغُوصون فى أعماق الأطلنطى ..

فى البداية كان ضوء الشمس يتسلّل إلى الماء ، فتبدو الرؤية واضحة ، وتبدو عشرات ومئات القوافل ، من مختلف أنواع الأسماك ، وهى تسبح حول الغوّاصة التجريبية الصغيرة ، وتتطلّع إلى نوافذها الزجاجية السميكة ، على نحو جعل (رمزى) يتساءل :

ــ مَنْ يراقب مَنْ يا تُرى ؟

خُيّل إليه أن الأسماك تتطلّع إلى وجوه الصغار ، عَبْرَ النوافذ الزجاجية ، بنفس الشَّغف ، الذى يتطلّع به الصغار إليها ..

الفارق الوحيد هو أن أحد المشاهدين وسط الماء ، والآخر فى موقع جافّ ..

وحينما واصلت (ق ــ ١) هبوطها ، خفَت ضَوء الشمس تدريجيًا ، وبدأ الظلام يزحف حول الغوّاصة ، التى أضاءت بأضواء مُبْهِرة بعد لحظات ، فعادت الرؤية تتَّضح مرّة أخرى ، وإن بدا المحيط ، على ذلك العمق ، هادئًا ، خاليًا ،

ساكنًا ، إلّا من عدد قليل من الأسماك الضخمة ، تظهر فى سرعة ، وتختفى فى سرعة ..

ووصلت الغوّاصة الصغيرة إلى عمق كيلومترين ..

إلى أقصى عمق بلغة الإنسان فى المحيط ..

إلى حيث يصل ضغط الماء إلى ما يساوى ستين ضغطاً جويًّا تقريبًا(*) .

إلى حيث يبلغ الظلام مداه ..

ومن العجيب أنه على هذا العمق كانت توجد مخلوقات ..

سبحان الله (العلىّ القدير) ..

مخلوقات ضئيلة .. دقيقة .. مضيئة ..

مضيئة كمصابيح صغيرة حيّة ، تشق طريقها وسط ظلام دامس ..

مخلوقات تتجلّى فيها قدرة الخالق (عزّ وجلّ) ..

ومال الرجل ، الجالس إلى جوار (رمــزى) نحوه ، مغمغمًا فى انبهار :

(*) الضغط الجوى : وزن عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم ، ومساحة مقطعه ١ سم^{2} ، عند سطح البحر .

ــ يا للرّوعة !!.. لا شكّ أنّ الصغار فى قمة سعادتهم وانبهارهم الآن .

غمغم (رمزى) ، وهو يتابع الشاشة فى اهتمام :

ــ نعم .. لا شكّ فى ذلك .

هزّ الرجل رأسه ، وعاد يقول :

ــ سبحان الله .. لم أكن أتصوّر أبدًا وجود كائنات دقيقة هكذا ، فى مثل هذا العمق .

وافقه (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ــ وأنا كذلك ، لقد تصوّرت أنه من الضرورىّ أن تكون مخلوقات الأعماق بالغة الضخامة ، لتحتمل كل هذا الضغط على الأقل .

عاد الرجل يهزّ رأسه ، قائلًا :

ــ يبدو أننا سنمضى دهرنا كله ، دون أن ندرك حكمة الخالق فى خلقه .

عاد (رمزى) يوافقه بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

ــ لا شكّ فى هذا .

ثم اعتدل فى اهتمام ، وهو يشير إلى الشاشة ، مستطردًا فى انفعال :

ـ انظر .. هناك جسم متوسِّط الحجم .
مال الرجل برأسه إلى الأمام ، وهو يسأله فى لهفة :
ـ أين ؟
هتف (رمزى) ، وقد تضاعف انفعاله :
ـ هناك .. لقد عَبَرَ دائرة الضوء فى سرعة ، ثم اختفى خارجها .
هزَّ الرجل رأسه فى حَيْرة وشكٍّ ، وهو يغمغم :
ـ لم ألحظه .. أأنت واثق من أنه ليس مجرَّد ظلال ، أو .....؟
قاطعه (رمزى) فى توتُّر :
ـ أيَّة ظلال فى هذا العمق .. لقد كان مخلوقًا حيًّا ، يتحرَّك فى مهارة ، و .....
لم يجد ما يتم به وصفه ، فبتر عبارته عند هذا الحدّ ، ولاذ بالصَّمْت ، مما دفع الرجل الجالس إلى جواره إلى الابتسام ، وهو يقول :
ـ أراهنك أنه خداع بصرىّ فحسب .
لم يجب (رمزى) ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأن ما رآه ليس خداعًا ..

وإنما هو خطر ..
خطر ما ..

* * *

تراخى جفنا ممرضة المراقبة ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، وخامرها شعور قوىّ بالملل ، وبعدم جَدْوَى استمرارها فى مراقبة جسدَىْ (نور) و (سلوى) ، اللذين اتصلا بعشرات الأنابيب والخراطيم ، والأسلاك ، التى تؤمِّن لهما التغذية ، وتلتقط كل ما يرسله مُخَّاهما ، وقلباهما ، وكل أجهزتهما الحيويَّة ، على هيئة إشارات وعلامات ومنحنيات إليكترونية ، تملأ شاشات الأجهزة الحديثة ، التى تحيط بهما من كل جانب ..
ومنذ عام كامل ترسل كل تلك الأجهزة إيقاعات ثابتة لا تتغيَّر ، حتى بات الأمر رتيبًا مضجرًا ، يبعث النعاس فى العيون والجفون ..
وانسدل جفنا ممرضة المراقبة فى تراخ ..
وفجأة .. تغيَّر الإيقاع ..
تغيَّر على نحو مباغت سريع ، جعل الممرضة تنتفض من مكانها ، وتهبّ من مجلسها ، وتحدِّق فى شاشة رسَّام المخ الإليكترونى فى دهشة ، ثم تهتف :

— يا إلهى !!.. أحان الوقت ؟!.. أحان الوقت حقًا؟!..

وأسرعت تضغط زِرّ الاتصال بالطبيب المعالج ، بأصابع مرتجفة ، ولم تمض لحظات حتى كان الطبيب المتابع للحالة ، داخل حجرة العناية المركَّزة ، يسألها فى قلق :

— ماذا حدث ؟

أرادت أن تشرح له ما حدث ، إلَّا أن انفعالها لم يساعدها ، إلَّا على أن تشير بأصابع مرتجفة إلى الشاشة ..

ورفع الطبيب عينيه إلى حيث أشارت ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى شدة ، وهو يتمتم :

— يا إلهى !!.. إنه نشاط مُخّىّ فائق .

أسرع نحو جسد (سلوى) ، وراح يفحصه فى سرعة ، وهو ينقِّل بصره بين الفَيْنة والفَيْنة إلى شاشة الجهاز ، مغمغمًا :

— عجبًا !!.. إن أجهزة الجسم كلها ما زالت غارقة فى غيبوبة عميقة .. عدا المخ .

ثم انتقل إلى جسد (نور) ، يفحصه بنفس السرعة والاهتمام ، إلَّا أن هذا لم يُورثه سوى المزيد من الدهشة والحَيْرة ، فتنهَّد فى عمق ، وراح يحكّ مؤخرة عنقه بأصابعه ، وهو يغمغم :

— هذا غير طبيعىّ .. غير طبيعىّ على الإطلاق .

سألته الممرضة فى توتُّر :

— ماذا يحدث لهما ؟

هزَّ كتفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

— إننى لم أشهد مثل ذلك من قبل ، فجسداهما غارقان فى غيبوبتهما ، أمَّا عقلاهما فيشهدان نشاطًا مفاجئًا ، كما لو أنهما .. كما لو أنهما .....

راح يردِّد الجزء الأخير من عبارته فى توتُّر ، مما أهب فضول الممرِّضة ، فهتفت به :

— كما لو أنهما ماذا ؟

تردَّد لحظة ، ثم أجاب فى شكٍّ وخُفوت :

— كما لو أنهما يتلقَّيان رسالة .. رسالة عقليَّة .

ومن العجيب أن تشخيصه كان سليمًا ..

لقد كانا يتلقَّيان ، رسالة عقلية ..

رسالة تحمل إنذارًا بخطر يتهدَّد أحبَّ مخلوقة إلى قلبيهما .. ابنتهما ..

* * *

قلق شديد ، ذلك الذى ملأ نفس (رمزى) ، وهو يتطلَّع
إلى الشاشة ، بعد أن لمح ذلك الجسم العجيب ، الذى مرق
عَبْرَ دائرة الضوء لحظة ..

شىء ما فى أعماقه جعله يشعر بالخوف والقلق على
(نشوى) ..

كان من الممكن أن يكون ذلك الشىء مجرَّد سمكة ضخمة ،
أو كائن من كائنات الأعماق ، ولكنه لا يدرى لِمَ أثار مرآه كل
هذا القلق فى نفسه ..

وفى توتُّر راح يقول لنفسه :

ــ لماذا كل هذا القلق يا (رمزى) ؟.. أكنت تتوقَّع أن
يخلُوَ المحيط من كل المخلوقات ، بمجرَّد أن (نشوى) ستهبط
إليه؟.. لقد كنت تعلم منذ البداية أن (نشوى) ستغوص
وسط محيط يزخر بالكائنات الحيَّة المجهولة ، فلماذا أصابك
القلق الآن ؟.. ثم إن غواصة التجارب ذات جدران سميكة ،
شديدة الصلابة ، وتحمل أربعة مدافع ليزر قويَّة ، للدفاع عنها
ضدَّ أى خطر محتمل ، ولا يوجد أدنى مبرِّر للقلق !

كان يحاول بكلماته تهدئة نفسه ، إلَّا أن قلقه تضاعف ،
وراح يهتف به :

ــ ولكنْ هناك شىء ما أثار قلقك ، على الرغم من كل
محاولاتك لتطَمْئِنَ نفسك .. نعم .. راجع ذلك المشهد ،
الذى رأيته فى لمحة خاطفة ، وستجد به ما أثار توتّرك وقلقك
بالتأكيد .. حاول أن تراجعه .. صحيح أنه لم يستغرق سوى
جزء من الثانية ، حتى أن معظم المشاهدين لم يلمحوه
أو يلاحظوه ، إلّا أنك التقطت منه لمحة خاطفة ، فجرَّت قلقك
على هذا النحو .. حاول أن تستعيدها .. حاول ..

راح يعتصر ذهنه ، محاولًا استرجاع تلك اللمحة الخاطفة ،
التى أثارت انتباهه وقلقه ، فى مشهد استغرق عُشر الثانية على
الأكثر ، وأخذ يتابع الشاشة فى توتُّر بالغ ، وهى تنقل كل
ما يدور حول الغوَّاصة الصغيرة ..

كان المحيط يبدو هادئًا ساكنًا ، على نحو بالغ المدى ، كما
لو أن (ق ــ ١) ، قد هبطت فى منطقة مُقفرة منه ،
فباستثناء تلك المخلوقات الضئيلة المضيئة ، ساد سكون رهيب
فى الأعماق ..

وفجأة .. ارتجف المشهد ..

ارتجف فى عنف جعل الجميع يشهقون فى فزع ، وجعل

(رمزى) يقفز من مقعده ، ويحدّق فى الشاشة فى ذُعر وتوتُّر ..

وفجأة أيضًا .. أظلمت الشاشة ..

وانطلقت صرخات الرُّعب من الأفواه ، وبخاصَّة أفواه أسرتَىْ (طارق) و (هشام) .

أمّا (نشوى) ، فقد كانت أسرتها تقتصر — فى الوقت الحالىّ — على شخص واحد ..

(رمزى) ..

وانتزع (رمزى) نفسه من ذُعره وتوتُّره ، واندفع نحو حجرة القُبطان ، واقتحمها فى عنف ، وهو يصرخ :

— ماذا حدث ؟

حاول القبطان أن يهدئ من انفعاله ، على الرغم من أنه كان يرتجف على نحو واضح ، وهو يقول :

— لا تقلق يا سيِّدى .. إنه انقطاع فى كابل النقل فحسب .

صاح (رمزى) فى توتُّر :

— وماذا عن الغواصة ؟

أجابه القُبطان فى توتُّر :

— إننا نستعيدها .. سنرفعها إلى السطح فى لحظات .

أسرع (رمزى) إلى السطح ، وتعلّق بصره بالكابل الضخم ، الذى يرتفع فى سرعة ، حاملًا (ق — ١) ، حتى برزت الغواصة الصغيرة فوق سطح الماء ، وبدا القطع الجزئىّ فى الجزء الملتصق بها من الكابل واضحًا ، وأسرع (عصام) نحوها ، مع والدَىْ (طارق) و (هشام) ، ثم لم يلبث الجميع أن توقَّفوا مبهوتين ، مذعورين ، مرعوبين ، فقد كان الجدار الجانبىّ للغوّاصة التجريبية مشقوقًا ، كما لو كان قطعة من الزُّبد ، أحدث فيها سكِّين حادّ فجوة كبيرة ..

وكانت خالية ..

خالية من الصِّبية الثلاثة ..

خالية تمامًا ..

* * *





أسرع (رمزى) إلى السطح ، وتعلَّق بصره بالكابل الضخم ، الذى يرتفع فى سرعة ، حاملًا (ق ــ ١) ..

٣ ــ أعماق الألم ..

شعر (رمزى) بساقية تَعْجزان عن حمله ، وترتجفان على نحو واضح ، وخُيِّل إليه أنه سيهْوِى فاقد الوعْي ، وصَكَّ مسامعَه صُراخُ أسرئى الصَّبِيَّين (طارق) و (هشام) ، وبدا له كقصف رعد فى أعماق قلبه ، الذى أصيب بجرح عميق ، وراح يُعانى آلامًا مبرِّحة ، وهو يلُوم نفسه أشدّ اللّوم ؛ لأنه وافق على قيام (نشوى) بتلك الرحلة ..

وفجأة .. اجتاحه إعصار من الغضب ..

إعصار هادر قوىّ مدمِّر ..

إعصار دفعه إلى أن يندفع نحو حجرة القُبْطان مرَّة أخرى ، ويقتحمها فى عنف ، ثم ينتزع هذا الأخير من مَقْعَده ، ويصرخ به فى غضب :

ــ أيُّها الحقير .. لقد صدَّقنا دعاياتك .

تملَّص القبطان من قبضتيه فى توتُّر ، وأسرع رجاله يصوِّبون مسدَّساتهم الليزريَّة نحو (رمزى) ، الذى بدا وكأنه لم يَرَ فُوَّهات

مسدَسات الأشعة القاتلة ، وهو يصرخ فى وجه القُبطان :

ـــ لقد بالغت فى الثقة بغوَّاصتكم الحقيرة ، وأفقدتنا أبناءنا .

هتف القُبُطان فى توتُّر :

ـــ ولكن الغوَّاصة منيعة بالفعل .. لست أدرى كيف حدث ذلك .

صاح (رمزى) فى غضب :

ـــ سأخبرك أنا كيف حدث ذلك أيُها الحقير .. إن جدران غواصتكم اللَّعينة لم تحتمل الضغط الهائل ، الذى وصل إلى ستمائة ضغط جوىّ على كل سنتيمتر منها ، فتشققت ، وانهارت ، وقُتِلَ أبناؤنا داخلها .

لوَّح القُبُطان بكفِّه فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ـــ مستحيل !! هذا ليس تأثير الضغط، فلو أنه كذلك لانطبقت جدران الغوَّاصة بعضها على البعض، وليس هذا ما حدث .. لقد صنع فيها شىء ما فجوة منتظمة .. فجوة عجيبة .

انتفض جسد (رمزى) كله ، عند سماعه هذه العبارة ، التى بدت له منطقية صحيحة ، وانهار فوق أقرب مقْعد إليه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ ماذا حدث إذن ؟.. ماذا حدث ؟

غمغم القبطان فى اضطراب :

ـــ ستجرى الشركة بحثًا واسعًا ، فى هذا الشأن ولاشكّ ، وستَصْرف لكم التعويضات المناسبة و .....

قاطعه (رمزى) بصرخة استنكار :

ـــ تعويضات ؟!

وهبَّ واقفًا ، وهو يستطرد فى غضب عصبىّ :

ـــ أتظن أن التعويضات المالية ستكفينا ؟!.. أتظن أننا سنقبل ثمن دماء أطفالنا ؟..

لوَّح القبطان بذراعه ، وهو يهتف فى توتُّر :

ـــ إننى لم أقصد ذلك ، ولكن ما حدث قد حدث ، ولاتوجد وسيلة لاسترجاع الأطفالِ ، والتعويض المادِّىُّ أمر معترف به قانونًا .

دوَّى جزء من العبارة فى رأس (رمزى) ..

لاتوجد وسيلة لاستعادة الأطفال ..

لاتوجد وسيلة لاستعادتهم ..

ما من وسيلة ..

اتسعت عيناه فى ذُعْر ، وهو يردِّد فى ألم ومرارة :

ـ يا إلهى !!.. (نشوى) ..

وانهار مرَّة أخرى فوق مَقْعَده ، ودفن وجهه فى راحتيه ، وهو يردِّد :

ـ كيف أفسِّر ما حدث لـ (نور) و (سلوى) ؟.. كيف أبرِّر لهما تقاعسى فى حماية ابنتهما ؟.. كيف أعوِّضهما عنها ؟!..

كانت كلماته تقطر بالألم والمرارة ..

وفجأة .. برق مَشْهَد ما فى رأسه ..

مشهد رآه فى لمحة خاطفة ..

مشهد تذكَّره على التوِّ ، فهبَّ من مَقْعَده ، وتعلَّق بالقُبُطان ، صائمًا :

ـ اتصل بشركتك اللَّعينة .. هيَّا .. اطلب منهم أن يرسلوا لنا غوَّاصة أخرى مشابهة ، وألقِ مرساتك هنا ، فسنبقى حتى ننتهى من هذا الأمر .

حدَّق القبطان فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

ـ أىُّ أمر ؟

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ـ إننا سنهبط هناك ..

ثم أشار إلى المحيط ، مستطردًا فى حزم :

ـ إلى حيث فقدناهم .

* * *

حلَّقت هليوكوبتر نوويَّة فوق الحوَّامة فى دَوْرة كاملة ، قبل أن تلتقط أجهزة الحوَّامة رسالة منها ، تقول :

ـ هنا هليوكوبتر إدارة المخابرات العلميَّة ، نطلب الإذن بالهبوط .

أدار القُبُطان عينيه إلى (رمزى) ، قائلًا فى عصبيَّة :

ـ لم يكن من الضرورىّ أن تتصل بالمخابرات العلميَّة ، فهذا الأمر خاصّ بالشركة ، ويمكننا إجراء تحرِّياتنا بأنفسنا .

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ـ هذا ما تتصوَّره أنت .

ثم أشار إلى أجهزة الحوَّامة ، مستطردًا فى حزم :

ـ مُرْ رجالك بمنحهم إذْن الهبوط .

أشار القُبُطان إلى أحد رجاله فى ضيق ، فعمل هذا على إرسال إذن الهبوط إلى الهليوكوبتر ، التى دارت حول الحوَّامة دَوْرة أخيرة ، ثم هبطت فى منتصفها ، وقفز منها (محمود) ، عضو الفريق ، الذى اندفع نحو (رمزى) ، يسأله فى لهفة :

— ماذا حدث يا (رمزى) ؟.. ماذا أصاب (نشوى) ؟

أمسك (رمزى) كتفيه ، وهو يقول فى دهشة وتوتُّر :

— (محمود) ؟!.. ماالذى أتى بك ؟.. إننى لم أطلب حضورك بالذات ، فجراحك قد التأمت منذ أيام فقط ، و..... (*) .

قاطعه (محمود) فى حزم :

— دَعْكَ من جراحى ، وأخبرنى .. ماذا حدث ؟

قصَّ عليه (رمزى) ما حدث فى سرعة ، فهتف فى جزع :

— يا إلٰهى !!.. هل فقدنا (نشوى) ؟

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

— كل الظواهر تؤكِّد ذلك يا (محمود) ، ولكن هناك شىء يدفعنى إلى عدم الجزم بهذا .

سأله (محمود) فى دهشة :

— أىُّ شىءٍ هذا ؟

أشار إليه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

— تعالَ .. سأجعلك ترى بنفسك .

ثم قاده إلى حيث وضِعَتِ الغوَّاصة الصغيرة ، وقال وهو يشير إلى الجزء المشقوق فى جدارها :

— انظر وأخبرنى ، أى شىء فعل هذا ؟

مال (محمود) يفحص الجزء المقطوع من جدار الغواصة ، وهو يقول فى اهتمام مشوب بالدَّهشة :

— يبدو أن ذلك الجدار قد تعرَّض لنوع رهيب من الأشعة .. فهو مشقوق بحوافٍّ منتظمة ناعمة .. وهناك قطعة كبيرة مفقودة منه ، كما لو أن أحدًا قد انتزعها لفحصها .

رفع (رمزى) سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

— بالضبط .. هذا ما استنتجته أنا .

ثم أشار إلى الجزء المقطوع من الكابل ، والملاصق لقمة الغوَّاصة الصغيرة ، مردفًا :

— وما رأيك فى هذا ؟

فحص (محمود) القطع الجزئىَّ فى إمعان ، وقال :

— يبدو أنه مقطوع باستخدام الوسيلة نفسها .

أضاف (رمزى) فى اهتمام :

— مع الانتقاء .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعْنِى ؟

أجابه فى حسم :

ـ أعْنِى أن الأشعة قد انتقت طريقها هذه المرَّة ، فهى لم تقطع الكابل كله ، وإنما انتقت منه جـزءًا خاصًـا ، ذلك الجزء الذى يحوى أسلاك توصيـل الصُّور إلى سطـح (الهوفركرافت) .

عاد (محمود) إلى فحص الجزء المقطـوع فى اهتمام ، ثم غمغم :

ـ يا إلٰهى !!.. هذا صحيح .

ثم اعتدل مغمغمًا فى حَيْرة :

ـ ولكن لماذا ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لمنع نقل الصُّور أولًا ، قبل شقّ جدار الغوَّاصة .

حدَّق (محمود) فى وجهه بحَيْرة ، وهو يغمغم :

ـ ولكنّ هذا يحتاج إلى مخلوق عاقل يا (رمزى) !

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ويتَّفِق تمامًا مع مارأيته على شاشة النقل .

ازداد انعقاد حاجبى (محمود) ، وهو يقول :

ـ ماذا رأيت يا (رمزى) ؟

أجابه فى هدوء واثق حازم :

ـ رأيت على ذلك العمق شكلًا حيًا يا (محمود) .. شكلًا بشريًّا ..

* * *



٤ ــ المستحيل ..

« هذا مستحيل !!.. مستحيل تمامًا !! » ..

ألقى قبطان (الهوفركرافت) هذه العبارة فى حزم وصرامة ، وبلهجة لا تحتمل النقاش ، بعد أن استمع إلى حديث (رمزى) ، وأردف فى حِدَّة :

ــ ما من بشر يمكنه أن يحتمل الضغط الهائل ، فى هذه الأعماق السحيقة ..

إن أىّ مخلوق بشرىّ يُسْحَق سحقًا ، قبل أن يصل إلى ربع هذا العمق .

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ولكننى رأيت شكلًا بشريًّا ، على عمق كيلومترين .

هتف القبطان فى إصرار :

ــ مستحيل !! أقول لك : مستحيل !!

أشار (محمود) بكفَّيْه ، قائلًا :

ــ مهلًا أيها السادة .. من السهل الوصول إلى رأى حاسم ، فى هذا الخلاف .

ثم التفت إلى القُبْطان ، قائلًا :

ــ هل سجَّلتم ما نقلته آلات التصوير فى الغوَّاصة ؟

فهم القبطان مقصده على الفور ، فصاح فى حزم :

ــ بالتأكيد .. سنعيد عرضه ، وسأثبت لكما أننى على حق ..

ورمق (رمزى) بنظرة صارمة ، وهو يُرْدِف :

ــ إن وجود بشر على هذا العمق مستحيل !!

* * *

راحت آلات الفيديو تعرض التسجيل فى هدوء ، وعيون الرجال الثلاثة تتابعه فى اهتمام ، حتى هتف (رمزى) فجأة فى انفعال :

ــ ها هو ذا .

عقد القُبْطان حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أين ؟.. إننى لم أرَ شيئًا !

غمغم (محمود) فى قلق :

ــ وأنا كذلك !

هتف (رمزى) :

ــ أعِد (المَشْهَد) وسترياه .

أعاد القبطان المشهد ، وحدَّق فيه الثلاثة مرَّة أخرى فى اهتمام ..

كان مشهدًا عاديًّا للغاية ، ينقل مساحة لانهائيَّة من مياه الأعماق ..

وفجأة .. برز جسمٌ ما عند نهاية دائرة الضوء ، واختفى فى سرعة ..

ظهر واختفى فى ثانية واحدة ، لم تسمح لـ (محمود) أو القبطان بالتحقُّق منه ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد هتف (رمزى) :

ـــ ها هو ذا مرَّة أخرى .. أرأيتماه ؟

تبادل (محمود) والقبطان نظرات الحَيْرة ، ثم غمغم الأوَّل :

ـــ فى الواقع .. إننى ....

قاطعه (رمزى) فى عصبيَّة :

ـــ حسنًا .. حسنًا .. هناك وسيلة أكثر دقَّة .

وأعاد المشهد للمرَّة الثانية ، ثم أوقفه ، وأخذ يعرضه فى بطء متناه ، وهو يقول :

ـــ سنشاهد المشهد هذه المرَّة لقطة فلقطة ..

تعاقبت الصُّوَر فى بطء شديد ، ثم بدأ ذلك الجسم يظهر عند دائرة الضوء ، فأوقف (رمزى) الصُّورَة ، هاتفًا :

ـــ انظرا .

حدَّق الاثنان فى الشاشة باهتمام، ثم هزَّا رأسيهما نفيًا ، وقال القُبْطَان فى ضَجَر .. لست أرى سوى جسم مظلم .. قد يكون شيئًا ، أو لا يكون .

دفع (رمزى) الصُّوَر إلى الأمام ، لقطة فلقطة ، وبدا الجسم وهو يعبرُ دائرة الضوء ، دون أن يبدو منه ما يشير إلى أنه بشرىّ ، حتى أن (محمود) غمغم فى أسف :

ـــ ربَّما هو خداع بصرىّ يا (رمزى) .. أو ....

لم يتمّ عبارته ، فقد أوقف (رمزى) المشهد عند لقطة واضحة ..

لقطة يبدو فيها الجزء الأخير من الجسم ، قبل أن يغادر دائرة الضَّوْء ..

وكان هذا الجزء الأخير كافيًا ..

لقد كان قدمًا ..

قدمًا بشريَّة ذات زعانف ..

* * *



تعاقبت الصُّور فى بطء شديد ، ثم بدأ ذلك الجسم يظهر عند دائرة الضوء ، فأوقف (رمزى) الصُّورة ، هاتفًا : انظرا .

« مستحيل !! » ..

ردَّد القبطان تلك الكلمة فى ذُهول ، وهو يضرب كفًا بكفٍّ ، قبل أن يستطرد :

ــ سيحطِّم هذا كل النظريَّات العلمية المعمول بها .. سيضرب كل الآراء والأسس والقواعد فى مقتل .

أجابه (رمزى) فى حزم :

ــ ولماذا تفترض ذلك ؟.. ألا يحتمل أنَّ ما نراه الآن هو الاستثناء الضرورىّ ، لتأكيد كل قاعدة .

هتف القبطان :

ــ إنه ليس مجرَّد استثناء .. إنه كشف يفعل بنا الكثير ، ويقلب أمامنا كل الموازين ، فهو قد يَغنِى صحة نظريتك الأخرى ، التى تشير إلى اختطاف الصِّبية الثلاثة ، لا إلى قتلهم .

هزَّ (رمزى) رأسه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ أتمَنَّى ذلك ، فأنا أعتمد على نوع من التحليل النفسى ، بافتراض أنه ما دام بشريًّا لم يصل إلى ذلك العمق بعد ، فمن الطبيعى أن مخلوقات ذلك العمق سترى البشر لأوَّل مرَّة ، ولو أنهم متطوِّرون ، حسبما أعتقد ، وحسبما تشير الدلائل ، من

حيث قطعهم لأسلاك نقل الصُّور فحسب ، وقدرتهم على شقِّ جدار (ق ـــ ١) ، باستخدام نوع من الأشعة القويّة ، فيثير وجود الصِّبية الثلاثة فضولهم ، وسيدفعهم إلى محاولة دراستهم ، وبالتالى إلى اختطافهم ، والمحافظة على حياتهم .

لوح القبطان بذراعه ، وهو يقول :

ـــ ولكن نظريتك كلها تعتمد على احتمالات ، وافتراضات محضة .

أجابه (رمزى) فى حزم :

ـــ فيما عدا وجود بشر ، على درجة جيّدة من التطوُّر ، فى أعماق المحيط .

قلَّب (محمود) كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ ولكن من أين جاءوا ؟.. وكيف يحتملون الضغط الرهيب فى أسفل ؟

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ لدىَّ نظريتان فى هذا الشأن .

غمغم القبطان فى سخط :

ـــ نظريات مرَّة أخرى ؟!

تجاهل (رمزى) تعليقه تمامًا ، وهو يتابع حديثه مع (محمود) ، قائلًا :

ـــ النظرية الأولى تعتمد على نظرية التطوُّر لـ(تشارلز داروين)(*) عن تطوُّر المخلوقات بعضها من بعض ، بدءًا من الكائنات المائية الدقيقة ، إلى الإنسان .. فلو افترضنا أن عجلة التطوُّر لم تنتقل كلها من البحر إلى البر ، وأن جزءًا منها واصل تطوُّره بحرًا ، حتى وصل إلى إنتاج كائنات مائية ، على أعلى درجة من التطوُّر ، فمن المحتمل أن تكون تلك الكائنات شبيهة بالإنسان ، فيما عدا قدرتها على العيش تحت الماء ، واحتمال الضغط الهائل .

غمغم القُبْطان فى سخط :

ـــ مجرَّد نظريَّات معقَّدة .

مرَّة أخرى تجاهل (رمزى) و (محمود) تعليقه تمامًا ، وسأل (محمود) (رمزى) فى اهتمام :

(*) (تشارلس روبرت داروين) (١٨٠٩ ـــ ١٨٨٢ م) : عالم إنجليزى ، درس الطبَّ بأُدِنْبَرة ، ثم اتجه لدراسة العلوم ، وشُغِفَ بالتاريخ الطبيعىّ ، ووضع النظرية الداروينية ، فى كتابه (أصل الأنواع) ، عام ١٨٥٩ ، وله العديد من الأبحاث فى عالم الحيوان والتطوُّر .

— وماذا عن النظرية الأخرى

شرد (رمزى) ببصره لحظات ، ثم قال :

— إنها أكثر تعقيدًا .

ومطَّ شفتيه ، وكأنما يتردَّد فى الإفصاح عن نظريته الثانية ، ثم بدا وكأنه قد حسم رأيه ، وهو يقول :

— إنها تتعلَّق بقوْم قارَّة (أتلانْتِس) .

اتسعت عينا القُبْطان فى دَهْشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيْه ، وهو يغمغم :

— هُرَاء .

أما (محمود) ، فقد سأل (رمزى) فى اهتمام :

— أتعْنى أن هؤلاء هم بقايا حضارة (أتلانتس) الغارقة ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وهو يقول فى تردُّد :

— إنها مجرَّد نظرية .

هتف القبطان فى صرامة :

— هُرَاء .

ثم عقد كفَّيه خلف ظهره ، وهو يقول :

— كل مانقوله هنا مجرَّد هُرَاء أيها السادة ، وحتى رغبتكما

فى الغوص فى البقعة ذاتها ، للبحث عن الصِّبية محض هُرَاء .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

— أتعْنِى أن الغوَّاصة الثانية لن تصل ؟

هزَّ القبطان رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

— بل ستصل بعد ساعة واحدة ، مع حلول الظلام ، ولكن من العبث أن تتصوَّرا أنكما ستعثران على شىء ، فحتى لو لم تقتل تلك المخلوقات الصِّبية مباشرةً ، فمجرَّد فتحهم لجدار الغواصة يضع الصبية الثلاثة تحت ضغط هائل ، كفيل بسحقهم سحقًا .

روَّعتهما كلماته ، وبعثت فى قلبيهما الرُّعب ، مع تصوُّرهما لمصرع (نشوى) ورفيقيها على هذا النحو ، وران الصمت لحظات ، ثم غمغم (رمزى) فى عِناد :

— ولكننى سأذهب أيُّها القُبْطان .. شىء يؤكِّد لى أننى سأعود بـ(نشوى) ..

وتسلَّلت إلى صوته نبرة حزينة ، وهو يُرْدِف :

— أو بجثَّتها ..

* * *

٥ ـ رحلة الضّياع ..

اجتمع المسافرون على ظهر (الهوفركرافت) ، يتطلّعون فى قلق إلى بحّارة الحوّامة ، وهم يُعِدُّون الغوّاصة الثانية (ق ـ ٢) ، للهبوط إلى الأعماق ، وتركّزت نظراتهم على (رمزى) ، الذى بدا شديد الحماس والانفعال ، وهو يراجع كل إجراءات الأمان بالغوّاصة التجريبية الصغيرة ، قبل أن يدلف إليها ..

وهناك ، إلى جوار الغوّاصة ، كان (رمزى) حقًّا شديد الانفعال ، وهو يهتف فى أعماقه :

ـ تُرى .. أصحيحة هى مشاعرى ؟.. أمن الممكن حقًّا أن أجد (نشوى) ورفقيها على قيد الحياة ؟.. أم أن شعورى بالذنب هو الذى دفع تلك النظرية إلى عقلى ، وبَلْوَرَها ، وجعلها تبدو لى منطقيَّة ، عقلانيَّة ؟.. أمن الممكن أن يكون الضغط قد سحقهم حقًّا فى الأعماق ؟.. ولكن ، لو أن هذا ما حدث ، فلماذا أخرجوهم من الغوّاصة ؟..

كان عقله نهبًا لعشرات الافتراضات والتساؤلات ، حتى أنه انتفض فى قوّة ، حينما شعر بيد توضع على كتفه ، والتفت فى حِدّة إلى صاحبها ، فطالعه وجه (محمود) ، وهو يقول فى خفوت :

ـ هل أزعجتك ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى خفوت مماثل :

ـ كلَّا .. لقد انتزعتنى من شرودى فحسب .

ثم أجبر شفتيه على رسم ابتسامة ، وهو يستطرد :

ـ كم يسعدنى شفاؤك يا عزيزى (محمود) .. سأحتفل به معك ، عندما أعود بـ (نشوى) من الأعماق بإذن الله .

هزَّ (محمود) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـ ولِمَ لا نحتفل به معًا هناك ؟

حدَّق (رمزى) فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ـ هناك ؟.. أين تقصد ؟

أشار (محمود) إلى المحيط ، مجيبًا فى هدوء :

ـ فى الأعماق .

هتف (رمزى) فى جَزَع :

ـ أنت ؟!.. أنت تهبط إلى الأعماق ؟!.. يا إلٰهى !!.. ماذا

أصابك يا صديقى ؟.. إننى أعتبر قدومك إلى هنا وَحده نوع من المخاطرة الجسورة ، أنسيت أنك مصاب بخوف مرضى من البحار(*) ؟

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. لم أنس ذلك ، ولكننى أحاول تجاهله ، فلِمَ لا تتجاهله أنت أيضًا ،

عقد (رمزى) حاجبيه فى حزم ، وهو يقول :

ــ اسمع يا (محمود) ..

قاطعه (محمود) :

ــ اسمع أنت يا (رمزى) .. إن (نشوى) هى ابنة (نور) و (سلوى) ، وأنت الصديق الوحيد الباق لى فى هذا العالم ، بعد أن غاب (نور) وزوجته فى غيبوبتهما الطويلة العميقة ، ومهما كانت إصابتى بالخوف من الأعماق ، ومن الأماكن المغلقة ، فهى لن تساوى لهفتى على استعادة (نشوى) ، ولا إصرارى على أن أكون إلى جوارك ، وأنت

(*) راجع قصة (مدينة الأعماق) .. المغامرة رقم (٣) .

تفعل ذلك .. وهذا يَعْنِى أننى ــ وبكل بساطة ــ لن أتنازل عن مرافقتك فى هذه الرحلة ، مهما حاولت ، أو قلت ، أو فعلت .

رانَ عليهما الصمت ، وكل منهما يحدِّق فى عينى الآخر ، ثم ابتسم (رمزى) ، ووضع راحتيه على كتفى (محمود) ، وهو يقول فى اعتزاز :

ــ مرحبًا بك يا صديقى .

ثم تجهَّم وجهه مرَّة أخرى ، وهو يستطرد :

ــ مرحبًا بك فى رحلة الضياع ..

* * *

مطَّ كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزىّ شفتيه ، وعقد حاجبيه فى حَيْرة ، وهو يتطلَّع إلى الطبيب المسئول عن غرفة العناية المركَّزة ، التى يستقرّ فيها جسدا (نور) و (سلوى) ، قبل أن يسأله :

ــ ماذا يَعْنِى هذا بالله عليك ؟.. لا توجد حلول وسط ، بالنسبة للإشارات المخية ، فى حالات الغيبوبة العميقة هذه ، فإما أن يعطى المخ إشارات ضعيفة منتظمة ، طوال فترة الغيبوبة ، أو ينشط ، فتأتى اليقظة !

هزَّ الطبيب كتفيه ، قائلًا :

ـــ لست أجد تفسيرًا لذلك يا سيِّدى .. لقد نشطت إشارات مُخّيهما فجأة ، على حين بقى جسداهما على حالتهما ، ثم عادت إشارات مخيهما إلى ما كانت عليه ، وعاد كل شىء إلى وضعه الأوَّل .

هزَّ كبير الأطباء رأسه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !! إنها الظاهرة الأولى من نوعها .

ورفع عينيه إلى شاشات مراقبة أنشطة الجسدين ، وأضاف :

ـــ إن كل شىء يبدو لى عاديًّا للغاية و ....

قبل أن يتمَّ عبارته ، قفزت مؤشرات جهاز مراقبة الإشارات المخية بغتة ، وأسرعت فى عملها على نحو جنونىّ ، فاتسعت عينا كبير الأطباء فى دهشة ، وهتف الطبيب المعالج فى انفعال :

ـــ هاهى ذى تلك الظاهرة العجيبة تحدث مرَّة أخرى .. إنهما يتلقَّيان رسالة عقليَّة .. رسالة أخرى ..

* * *

هبطت (ق ـــ ٢) فى بطء ، نحو أعماق المحيط السحيقة ، وبداخلها (رمزى) و (محمود) وتألَّقت بالأضواء المبهرة ، لتبدِّد ظلام الأعماق ، فغمغم (محمود) فى رهبته ، وهو يتطلَّع عَبْرَ النافذة الزجاجية السميكة :

ـــ يا إلٰهى !!.. كم أشعر بضعف الإنسان ، على الرغم من غروره ، أمام هذه المشاهد ، التى تؤكِّد عظمة الخالق وحكمته !!

غمغم (رمزى) :

ـــ إننى أشاركك الشعور نفسه يا صديقى .

تمتم (محمود) ، دون أن يرفع عينيه عن المَشْهَد :

ـــ أتظن أننا سننجح ؟

تنهدَّ (رمزى) ، وقال :

ـــ من يَدْرِى ؟

ثم أشار إلى إحدى مؤشرات الغوَّاصة ، مستطردًا :

ـــ لقد وصلنا إلى عمق كيلومترين .. نفس العمق الذى اختفت فيه (نشوى) .

ازدرد (محمود) لُعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـــ أتظن أنه سيحدث لنا الشىء نفسه ؟!



بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعْر وذُهول ، وتراجع فى حِدَّة وعُنْف ، حتى أنه ارتطم بـ (رمزى) فى قوّة ..

هزَّ (رمزى) رأسه فى بطء ، وهو يكرّر :

ــ مَنْ يَدْرِى ؟

التصق بصراهما بالأعماق ، عَبْرَ الزجاج السميك ، وكأنهما يتوقّعان تكرار نفس المشهد ، الذى رأياه على الشاشات من قبل ، وخيّم عليهما صمت مشُوب بالقلق والتوتُّر ، استغرق وقتًا طويلًا ، قبل أن يقطعه فجأة أزيز مباغت ، انتفض له جسداهما ، وهتف (محمود) فى اضطراب :

ــ ما هذا ؟

أشار (رمزى) إلى مصباح صغير ، يومض بضوء أحمر متقطّع ، وقال فى انفعال :

ــ لقد توقّفت آلات التصوير عن نقل الصُوَر .. لقد قطع شىء ما أسلاك التوصيل .

التصق (محمود) بزجاج النافذة ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ ولكننى لا أرى شيئًا .. كل شىء يبدو هادئًا و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعْر وذُهول ، وتراجع فى حِدَّة وعُنْف ، حتى أنه ارتطم بـ (رمزى) فى قوّة ، وسقط الاثنان أرضًا ، ولكنهما لم يشعرا بوقع السقوط ، وإنما راحا يحدّقان فى النوافذ ..

فهناك ..

خلف النوافذ السميكة ..

على عمق كيلومترين فى المحيط الأطلنطى ..

حيث يبلغ الضغط ستمائة ضعف للضغط الجوىّ ..

حيث لم يصل بشر من قبل ..

كانت هناك وجوه شبه بشريَّة ..

وجوه خضراء ، صلعاء ، ذات حراشيف لامعة ، وعيون مضيئة ..

وجوه مخلوقات الأعماق ..

سادة الأعماق ..

* * *



٦ ـ من القمة إلى القرار ..

ارتجف جسد قبطان (الهوفركرافت) فى قوة ، حينما انقطع استقبال الصُّوَر ، المرسلة من الأعماق ، وتصبَّب عرق غزير على وجهه ، وهو ينهار فوق مَقْعَده ، ويخفى عينيه براحته ، مغمغمًا فى ألم :

ـ يا إلٰهى !!.. نفس النهاية .. نفس المصير ..

خيَّم الوجوم على وجوه الجميع ، وهم يحدِّقون فى الشاشة ، التى صارت بيضاء خاوية ، ثم التفت كل منهم إلى الآخر ، وانتقلت عَبْرَ أجسادهم رعدة قويَّة ، وانتقلت أبصارهم إلى حجرة القبطان فى ترقُّب وتوتُّر ..

وهناك ساد صمت رهيب ، استغرق دقيقة كاملة ، قبل أن يجرؤ أحد البحارة على القول :

ـ سيِّدى القبطان .. ماذا سنفعل ؟

رفع إليه القبطان عينيه فى شرود وحَيْرة ، وتطلَّع إليه لحظات فى صمت ، ثم غمغم :

ـ نعم .. ماذا سنفعل ؟

استغرق صمته وشروده لحظات أخرى ، قبل أن ينتفض بغتة ، وكأنما ينفض عنه كل هذا ، ويهبّ واقفًا ، هاتفًا :

ـ ارفعوا الغوّاصة الثانية .. أسْرِعوا .

وانعقد حاجباه فى قوّة ، وارتجف صوته فى شِدّة ، وهو يُرْدِف :

ـ قد نستعيدهما هذه المرّة .. أحياء .

* * *

تجمَّد (رمزى) و (محمود) فى سقطتهما ، وهما يحدِّقان فى وجوه سادة الأعماق ، الذين راحُوا يسبحون بأجسادهم شبه البشريّة حول الغوّاصة ، ويتطلّعون بعيونهم المضيئة عَبْرَ النوافذ ، وكأنما يشاهدون بعض حيوانات الزينة ، داخل قفص معدنى له نوافذ زجاجية ..

ثم بدأت الغوّاصة ترتفع ، فهتف (رمزى) :

ـ إنهم ينتشلوننا .

غمغم (محمود) فى ارتياع :

ـ المهم أن يفعلوا ، قبل فوات الأوان .

ارتفع سادة الأعماق مع الغوّاصة الصغيرة فى هدوء ، وهم يواصلون تحديقهم داخلها ، فغمغم (رمزى) :

ـ عجبًا !!.. هل سيتركوننا هذه المرّة ؟.. أم ....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت فى أيدى المخلوقات كُرَات لامعة ، صوَّبوها نحو جدار الغوّاصة ، فهتف (محمود) فى ذُعْر :

ـ يا إلٰهى !!.. هل سيد ....

بتر عبارته ، حينما انبعثت من الكُرَات اللامعة أشعة قويَّة ، اخترقت جدران الغوّاصة فى ليونة ، كسكِّين حادّ يشق قطعة زُبد طازجة ، وتدفَّقت مياه المحيط إلى الداخل ، وصرخ (رمزى) :

ـ يا إلٰهى !!.. إنهم يخترقون الغوّاصة .. إنهم ....

طار فجأة ـ وقبل أن يتمّ عبارته ـ جزء من جانب الغوّاصة ، واندفعت المياه داخلها فى عنف ، وشعر (محمود) و (رمزى) بآلام الضغط المبرِّحة ، وصرخ عقل (رمزى) ، وهو يشعر بأطنان من الضغط على أذنيه ..

صرخ ينادى كل من يعرف ..

ينادى (نور) ..

و (سلوى) ..

و (نشوى) ..

ثم انهار كل شىء ، وساد ظلام تامّ ..

* * *

اجتمع أطباء مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، فى حجرة العنايـــة المركّزة ، حول جسدى (نور) و (سلـــوى) ، وتطلّعت عيونهم إلى شاشات أجهزة المتابعة الحيوية فى حَيْرة ، حتى هزّ كبير الأطباء رأسه ، وهو يقول :

ــ فى الواقع أيها السّادة ، إننى لم أرَ مثل هذه الظاهرة أبدًا .

عقد أحد الأطباء حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أتظن أنها حقًّا رسالة عقلية يا سيِّدى ؟

مطّ كبير الأطباء شفتيه ، وهزّ رأسه ، وهو يقول :

ــ لست أدرى .. لا يمكننى الجزم بالإيجاب أو السلب.. الأمر يحتاج إلى دراسة .

تبادلوا نظرات الحَيْرة ، ثم التفت أحدهم إلى الطبيب المعالج ، يسأله :

ــ أتحدُثُ تلك الظاهرة بغتة ، أم تسبقها علامات مميَّزة ؟

تنهّد ، قبل أن يجيب :

ــ بل تحدث فجأة ، ودون سابق إنذار .

سأله فى فضول وشغف واهتمام :

ــ كيف ؟.. هل تبدأ ......؟

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز مباغت ، جعل الجميع يشهقون فى لهفة ، ويرفعون رءوسهم إلى شاشات المراقبة الحيوية ، ثم يهتف أحدهم :

ــ هاهى ذى .. لقد عادت الظاهرة ..

تعلّقت عيون الجميع بمؤشر رسّام المخ الإليكترونىّ ، الذى راحَ يرسم منحنيات وخطوطًا عنيفة ، ويتقافز فى جنون ، فهتف الطبيب المعالج :

ــ إنها تحدث فى عنف هذه المرّة .. عنف شديد .

ثم اتسعت عيناه فى هَلَع ، وهو يشير إلى شاشة رسّام القلب ، صائحًا :

ــ انظروا .. هناك ظاهرة أخرى تصاحبها هذه المرّة .. إن قلبيهما ينبضان فى عنف .

أيضًا .. هناك شىء ما يحدث .. شىء ما يحدث بالتأكيد ..

لم يكن قوله دقيقًا تمامًا ..

صحيح أنه كان هناك شيء ما يحدث ، ولكن هناك عبارة صحيحة ..

هناك شيء خارق يحدث ..

خارق للعادة ..

ولكل القوانين ..

* * *

أطنان من الضغط الهائل هاجمت (رمزى) و (محمود) ..

رُعب هائل ملأ قلبيهما ، وهما يواجهان الموت ، على عمق كيلومترين ، تحت سطح المحيط الأطلنطى ..

وبعد مقاومة لم تستغرق ثانية واحدة ، فقد كلاهما وعيه ..

وشعر (رمزى) أنه يهْوِى فى قرار سحيق .. مظلم .. دامس .. مخيف ..

قرار بلا قرار ..

وسبح بلا هُدَى ..

بلا هدف ..

بلا نهاية ..

سبح فى فراغ هائل ، بلا أقطاب أو اتجاهات ..

ولم يعُد يشعر بالألم ..

كان كمن يسبح فى الفضاء ، وهو يحمل كل هدوء الدنيا فى أعماقه ..

وفجأة .. رآهما ..

رأى (نور) و (سلوى) ..

رآهما يقتربان منه فى سرعة ..

أو أنه هو كان يقترب منهما ..

لا أحد يدرى ..

لقد كان يقف ساكنًا ، وهما كذلك بديا ساكنين ، ولكنهما يقتربان منه فى سرعة ..

ثم توقَّف على قيد أمتار منهما ، أو أنهما توقَّفا على قيد خطوات منه ..

وكان وجهاهما يحملان قلقًا شديدًا ..

وسألهما :

— (نور) .. (سلوى) !!.. حمدًا لله .. متى استعدتما وعيكما ؟

أجابته (سلوى) فى صوت عميق ، بدا له وكأنه يأتى من أعماق بئر سحيقة :

ـ دَعْـك منَّـا يا (رمزى) .. المهـم ابنتنـا .. أيـن (نشوى) ؟

شعر بالخجل ، والألم ، والمرارة ، وهو يقول :

ـ (نشوى) ؟!.. إنَّها .. إنَّها .....

قاطعه (نور) ، قائلًا :

ـ نحن نعلم ما حدث يا (رمزى) .. نعلم أن مخلوقات الأعماق قد اختطفتها ، ولكن أين ذهبوا بها ؟.. لقد فقدنا اتصالنا بها .

غمغم فى حَيْرة :

ـ لست أدرى .. إننا نبحث عنها أنا و (محمود) .. لقد هبطنا خلفها ، ولكن .....

قاطعته (سلوى) :

ـ اطمئن يا (رمزى) .. ستبقى على قيد الحياة .. قد يُعانى (محمود) بعض المتاعب ، ولكنك ستبقى .. من أجل ابنتنا يا (رمزى) .

هتف فى حرارة :

ـ سأفعل ما بوسعى للعثور عليها وإنقاذها .. أُقسم أن أفعل .

خُيِّل إليه أنهما يبتعدان ، وأنهما يبتسمان ، و (نور) يقول فى صوت متراجع :

ـ إننا نعلم أنك ستفعل يا (رمزى) .. إننا نثق بك .. نثق بك كثيرًا ..

خفت صوتهما تدريجيًّا ، وهما يبتعدان ، ويختفيان وسط ظلام دامس ، ويردِّدان :

ـ إننا نثق بك .. نثق بك كثيرًا .

أراد أن يتكلَّم .

أن ينطق بشىء ما ..

ولكنه عجز ..

عجز تمامًا ..

ورآهما يختفيان ، ويتلاشيان ..

وعندما اختفيا تمامًا ، وتلاشيا للنهاية ، انحلَّت عقدة لسانه ، وغمغم فى خفوت :

ـ سأحاول .. سأبذل كل ما بوسعى ..

وفجأة .. هبط من القمة إلى القرار ..

واستيقظ ..

* * *

اتسعت عيون الأطباء ، المحيطين بجسدى (نور) و (سلوى) ، فى دهشة يحدّقون فى شاشة الأجهزة ، وهتف أحدهم :

ـ لقد انتهت الظاهرة .

أسرع الجميع يفحصون الجسدين فى خبْرة كاملة ، وغمغم أحدهم :

ـ عجبًا !!.. ماذا يحدث ؟!.. يالها من ظاهرة عجيبة !!.. لقد ظهرت فجأة ، وانتهت فجأة !.. لقد عاد المخ والقلب إلى هدوئهما !.. عجبًا !!

غمغم الطبيب المعالج ، الذى يقف صامتًا فى ركن الحجرة ، وجسده يموج بالانفعال :

ـ لقد انتهت الرِّسالة .

التفت إليه كبير الأطباء ، يسأله فى حِدّة :

ـ أيّة رسالة ؟!

أجابه الطبيب الشّابّ فى رَهْبة :

ـ الرسالة العقلية ، التى استقبلاها ، أو أرسلاها الآن .

عقد كبير الأطباء حاجبيه ، وهو يهتف به فى حَنَق :

ـ أىُّ هُرَاء هذا ؟

بدا الطبيب شديد التوتُّر والانفعال ، وهو يقول :

ـ قُل ماتشاء ياسيِّدى ، ولكننى أصرّ على قولى .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

ـ إنها رسالة ..

* * *

استيقظ (رمزى) بغتة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، وبدا له المشهد مشوَّهًا فى اللحظات الأولى ، ثم لم يلبث أن تبيَّن عدة وجوه حرشوفية خضراء صلعاء تنحنى نحوه ، وتتطلّع إليه بعيون مضيئة مخيفة ، فاتسعت عيناه فى ذُعْر ، وغمغم فى ارتياع :

ـ أين أنا ؟.. أين (محمود) و (نشوى) ؟.. أين هما ؟

لم ينبس أحد هذه المخلوقات بحرف واحد ، وإنما راحت بعض الرموز الملوّنة العجيبة ترسم فوق شاشة كريستالية كبيرة خلفهم ، على نحو يؤكّد مدى تقدُّمهم العلمىّ ، وتفوُّقهم العقلىّ ..

وبدأ الرُّعْب والذُّعْر فى نفس (رمزى) فى التلاشى تدريجيًّا ، وبدأ عقله يعمل ، ويدرس الأجسام المتطلّعة إليه ..

كان التكوين العامّ بشريًّا ..

جسم وذراعان ، وساقان ، وعنق ورأس ..
تمامًا مثل البشر ..

وكان كل مخلوق منهم يرتدى زيًّا زيتونىّ اللّون ، لامعًا ، من قطعة واحدة ، وتبرز منه يدان حرشوفيّتان ، وأصابع بلا أظفار ، تربطها أغشية خضراء شفّافة ، تجعلها أشبه بأقدام الضفادع ، والوجه أصلع ، حرشوفىّ ، بلا أنف ، وإنما بخيشومين جانبيين ، فى مستوى عظام الفك تمامًا ، وفم رفيع طويل ، وعيون لامعة مضيئة ، تبدو كقطعة واحدة ، وإن كان المدقّق فيها يلاحظ أنها تحوى قرنية أقلّ لمعانًا ..

وهدأت نفس (رمزى) قليلًا ، حينما لاحظ أنه ما يزال على قيد الحياة ، وعاد يسأل فى لهجة أقل توتّرًا :

ـــ أين أنا ؟

عادت تلك الرموز العجيبة الملوّنة ترتسم على الشاشة الكريستالية ، وتابعتها عيون المخلوقات فى اهتمام ، ثم أخذوا يتبادلون إشارات صامتة ، أثارت دهشة (رمزى) واهتمامه ، قبل أن يميل أحد المخلوقات نحوه ، ويسأله بلغة عربية ، وبصوت خشن جاف :

ـــ مَنْ أنت ؟

شعر (رمزى) بدهشة بالغة ، حينما تحدّث إليه المخلوق

بلغته ، ولكن صوت هذا الأخير أثار فى نفسه قُشَعْرِيرة باردة ، جعلته يغمغم :

ـــ أنا .. أنا طبيب نفسى مصرىّ .. أُدْعَى (رمزى) .. هل .. هل تتحدّثون لغتنا ؟

بدت له ملامح المخلوق جامدة ، وهو يقول بنفس الصوت الخشن الجاف :

ـــ أنا وحدى .. الباقون ليسوا كذلك حتى الآن .. فى القريب سيفعلون ..

ثم أشار إلى الشاشة الكريستالية ، مستطردًا :

ـــ حينما يكتمل العمل .

تطلّع (رمزى) إلى الشاشة فى اهتمام ، وهو يقول :

ـــ أهو جهاز ترجمة خاص ؟

راح الجهاز يرسم نفس الرموز فى سرعة ، على حين أجاب المخلوق :

ـــ نعم .. إنه كذلك .. تقريبًا .

اعتدل (رمزى) ، وقد بدأ الهدوء والاتزان يزيحان التوتّر والانفعال من نفسه تمامًا ، وسأل المخلوق :

ـــ أين زميلى ؟.. أين (محمود) ؟

بدت له ملامح المخلوق جامدة ، وهو يقول بنفس الصوت الخشن الجاف :
ـ أنا وحدى .. الباقون ليسوا كذلك حتى الآن ..

صمت المخلوق لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب المعنى ، ثم قال بصوته الخشن الجاف :

ـ أتقصد ذلك الكائن النحيف الضعيف ، الذى كان يصحبك ؟

أجابه (رمزى) فى اهتمام :

ـ نعم .. أين هو ؟

أشار المخلوق بأصابعه ، ذات الزعانف الشفَّافة ، إلى ماخلف (رمزى) ، قائلًا :

ـ هاهو ذا .

استدار (رمزى) إلى حيث أشار المخلوق فى لهفة ، ثم اتسعت عيناه ذعرًا ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!.. (محمود) !!

فقد كان رفيقه يسبح داخل حوض ضخم .. أو بمعنى أدقّ فى أعماق حوض ضخم ..

وكان جسده ساكنًا تمامًا ..

كأجساد الموتى ..



٧ ــ البعثة ..

حلّقت هليوكوبتر نوويّة أخرى ، فوق الحوّامة الجوبرمائية لحظات ، حتى تلقّت الإذن بالهبوط ، فهبطت على سطح الحوّامة ، وغادرها رجل أقرب إلى البدانة ، طيّب الملامح ، اختلط بياض شعره بلونه البنّىّ وخصلاته القصيرة المجعّدة ، واتجه نحو القُبُطان ، وقدّم نفسه ، قائلًا :

ــ الدكتور (محمد حجازى) .. مُوفد من قبل المخابرات العلمية المصرية ، لمتابعة الحادث .

أشار القُبُطان فى مرارة إلى جسم الغوّاصة الثانية ، التى تمّ انتشالها ، وهو يقول :

ــ أى حادث ؟ .. إننى أفضّل استخدام لفظ (الكارثة) .. لقد فقدنا زميليك أيضًا .. لقد انتشلنا الغواصة الثانية أيضًا فارغة .

كان من الواضح أن الدكتور (محمد حجازى) يُعَانِى حزنًا وتوتّرًا شديدين ، إلّا أن صلابة هذا الرجل جعلته يتماسك ، وهو يقول فى هدوء حازم :

ــ فليكن .. إننى هنا لدراسة الأمر ، واستكمال البحث ، وستبقى حوّامتك فى موضعها ، وستصل بضع طوّافات ، تتبع الطيران المصرى ، لنقل الركّاب إلى وجهتهم النهائية .

تنهّد القبطان فى عمق ، وهو يقول :

ــ هل تتوقّع أن تتوصّل إلى شىء

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ بالتأكيد .

هتف به القُبُطان فى مرارة :

ــ كيف ؟

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، ومضت لحظة صمت ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ــ بتكرار المحاولة .

حدّق القُبُطان فى وجهه غير مصدّق ، قبل أن يهتف :

ــ مستحيل ! .. أتعنى ... ؟

قاطعه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ وهل هناك وسيلة أخرى ؟

ثم أدار عينيه تجاه المحيط ، مستطردًا :

ـــ ليس أمامنا سوى الغوص خلفهم .. خلف الجميع .

* * *

مضت لحظة من الذهول ، و (رمزى) يحدّق فى جسد (محمود) ، الذى يسبح فى بطء ، فى أعماق الحوض ، ثم انتابه غضب هائل ، سرَى كالنار فى عروقه ، وجعله ينسى كل المخاطر التى تحيط به ، ويصرخ فى ثورة :

ـــ أيها الأوغاد !

ثم قفز من المنضدة ، التى وضعوه فوقها ، والتقط شيئًا بدا له أشبه بالمقعد ، واندفع نحو الحوض الزجاجى الضخم ، وراح يضربه فى قوّة ، محاولاً تحطيمه ، إلّا أن محاولته لم تسفر إلّا عن لُهاثه ، وخفقان قلبه فى قوّة ، على حين قال المخلوق ، الذى يتحدّث العربية ، فى هدوء ، وبصوته الخشن الجاف :

ـــ لماذا ؟.. لماذا فعلت ذلك ؟

استدار إليهم (رمزى) فى حِدّة ، وصاح فى ألم غاضب ، وهو يشير إلى الحوض :

ـــ لقد قتلتموه .. لقد أغرقتموه .. مامن بشر يحتمل البقاء هكذا طويلا .

قال المخلوق فى هدوء :

ـــ من قال إننا قتلناه ؟!.. إننا نعالجه .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـــ تعالجونه ؟!

وعاد يلتفت إلى الحوض فى دهشة ، ولاحظ لأوّل مرّة مجموعة من الأنابيب الشفّافة الدقيقة ، تتصل بجسد (محمود) ، وبقناع شفّاف رقيق يحيط برأسه وعنقه ، لم يلمحه فى البداية لشدة شفافيتِهِ ، فعاد يغمغم فى دهشة :

ـــ تعالجونه ؟!

قال المخلوق فى هدوء :

ـــ إنه لم يحتمل المفاجأة .. أنت احتملتها .. نحن أحطناكم جميعًا بغلاف قوىّ ، يقيكم أثر الضغط الهائل ، قبل أن ننقلكم إلى هنا .. هو لم يحتمل .. أصابته نوبة عصبيّة ، وصرخ فى هستيرية .. ونحن نعالجه .

أدرك (رمزى) على الفور أنه صادق ، وإلّا فما نجا هو ، وظلّ على قيد الحياة ، وإلّا فما أصابت الصدمة (محمود) ، إلّا أن إدراكه لهذه الحقيقة لم يحجب دهشته ، فعاد يردّد :

ـــ تعالجونه تحت الماء ؟!

قال المخلوق :

وعاد يلتفت إلى الحوض فى دهشة ، ولاحظ لأوَّل مرَّة مجموعة من الأنابيب الشفَّافة الدقيقة ، تتصل بجسد (محمود) ..

ـ هذه هى وسيلة علاجنا .. إنها وسيلة فعَّالة .. اطمئن .

استدار إليهم (رمزى) ، وراح يتطلَّع إليهم فى حَيْرة ، قبل أن يقول :

ـ من أنتم ؟

خُيِّل إليه أنَّ المخلوق قد ابتسم ، وأن ابتسامته لم تستغرق سوى جزء من أعشار الثانية ، عاد بعدها إلى جموده ، وهو يقول :

ـ من تتصوَّرنا ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إما قمَّة سلسلة تطوُّر أرضية بحرية .. أو سكَّان (أتلانتس) القدامى .. أعْنِى نسلهم .

أجابه المخلوق فى هدوء :

ـ لا هذا ولا ذاك .

ازداد انعقاد حاجبى رمزى ، وهو يهتف :

ـ من أنتم إذن ؟

صمت الرجل لحظة ، ثم قال كمن يلقى قنبلة :

ـ إننا بعثة .. بعثة من كوكب آخر ..



٨ ـــ المائيُّون ..

انعقد حاجبا (رمزى) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى وجه المخلوق ذى الحراشيف اللامعة ، وخُيِّل إليه لحظة أنه يعيش حلمًا مزعجًا ، فهزَّ رأسه فى قوَّة ، ليستعيد قدرته على الاستيعاب ، قبل أن يعود للتحديق فى وجه المخلوق ، مردِّدًا :

ـــ بعثة من كوكب آخر ؟!

أجابه المخلوق فى هدوء :

ـــ نعم .. كوكب مائى ، يبعد عن كوكبكم ثمانين سنة ضوئية فحسب .. لقد انطلقنا من كوكبنا منذ خمسة أعوام ، ووصلنا إلى كوكبكم منذ عام ونصف من زمنكم تقريبًا .. ولقد تصوَّرنا أنه كوكب مائى مثل كوكبنا ؛ نظرًا لأن الماء يغطى ثلاثة أخماس كوكبكم هذا ، حتى أنه لمن المدهش حقًّا أنكم تعيشون على البرِّ ، أى على خُمسى مساحة كوكبكم فحسب ، فالماء يغطى خمسة أسداس كوكبنا ، فنشأت الحياة لدينا مائية صرفة ، أو بمعنى أدق برمائية .. فنحن نحيا خارج الماء وداخله ، ولكننا

لا نستطيع قضاء فترات طويلة خارج الماء ، وإلّا اختنقنا .. المهم أننا قد وصلنا إلى هنا منذ عام ونصف ، ووجدنا فى كوكبكم المناخ المثالى لنا .. ولمَّا كانت أجسادنا مؤهَّلة لتحمُّل الضغوط العالية ، بخلاف أجسادكم ، فقد استقررنا فى أعماق المحيط ، ودرسنا كل ما حولنا فى دقَّة ، واستغرقت دراستنا خمسة أشهر فحسب ، وعندما أردنا العودة إلى كوكبنا ، وجدنا سفينة متطوِّرة تطُوف بكوكبكم ، وتمنعنا من مغادرته ، كما تمنع أيَّة سفينة فضاء أخرى من الدخول إليه .

هتف (رمزى) :

ـــ أتقصد تلك السفينة الفضائية الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها (س ١٨) ؟[*] .

أجابه المخلوق فى هدوء :

ـــ ربَّما .. لسنا ندرى ما الاسم الذى تطلقونه عليها .

هتف (رمزى) فى انفعال :

ـــ أتَعْنِى أن وجود (س ١٨) فى مداره ، هو فقط ما يمنعكم من مغادرة كوكبنا ؟

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

صمت المخلوق لحظة ، ثم أجاب :

ــ نعم .. كان هذا هو وحده السبب فى البداية .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ ماذا تَعْنِى ؟.. أنشأت أسباب أخرى ؟

عاد المخلوق إلى صمته بعض الوقت ، قبل أن يقول :

ــ عندما أجبرتنا تلك السفينة الفضائية على البقاء ، رُحنا ندرس إمكاناتها ، ونسعى لابتكار وسائل شتى لمقاومتها ، والقضاء عليها ، حتى يمكننا العودة إلى كوكبنا ، وفى هذه الأثناء ، رُحنا نتبادل الرسائل مع كوكبنا الأم حتى وصلتنا رسالة غيَّرت كل خُططنا .

لم يفُه (رمزى) بحرف واحد ، وإن خُيِّل إليه أنه قد فهم ما سيلى ذلك ، ولقد كان تصوُّره قريبًا جدًّا من الواقع ، وهذا ما تأكَّد له ، حينما أكمل المخلوق :

ــ أثارت تلك الرسالة قلقنا فى شدة ، فلقد كان أهلنا هناك يخبروننا أن شمس كوكبنا قد اقتربت منه فى شدة ، وتضخَّمت ، فارتفعت حرارة الكوكب ، وراحت مياهه تتبخَّر ، وتتحوَّل إلى سحب كثيفة ، وعلى الرغم من ذلك لم تعُد هناك أمطار .. تصوَّر كوكبًا مائيًا ، يعيش كل سكَّانه تحت

الماء ، حينما يصيبه الجفاف .. إن هذا يَعْنِى كارثة هائلة .. ضياع الملايين من السكَّان ، ومصرعهم .. كانت مأساة مخيفة ، تحتِّم على الجميع البحث عن حلول وبدائل .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ وكان كوكبنا هو البديل .. أليس كذلك ؟

خُيِّل إليه مرة أخرى أن شبح ابتسامة قد مرَّ بوجه المخلوق ، قبل أن يقول :

ــ تقريبًا .

تفجَّر القلق فى أعماق (رمزى) ، وهو يقول :

ــ وهل سيعْنِى ذلك نوعًا من التعايش السِّلمى ؟

قال المخلوق فى هدوء :

ــ لو أمكن .

سأله (رمزى) فى حِدَّة :

ــ ماذا تَعْنِى بـ(لو أمكن) ؟

صمت المخلوق بعض الوقت ، ثم التفت إلى رفاقه ، وتبادل معهم حديثًا بلغة عجيبة ، جافَّة المخارج ، خشنة الألفاظ ، و (رمزى) يتابعهم فى حَيْرة ، قبل أن يقول فى عصبيَّة :

ــ ماذا هناك بالضبط ؟

التفت إليه المخلوق ، وقال فى لهجة بدت صارمة :

ــ انتظر .. إننا نتناقش .

ثم عاد يتبادل ذلك الحديث الخشن الجاف مع رفاقه ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) ، ويقول فى هدوء :

ــ لقد قرَّر الرفاق أن نشرح لك كل شىء بالتفصيل .

غمغم (رمزى) فى توتُّر :

ــ إننى أتعشَّم ذلك .

أومأ المخلوق برأسه ، وكأنما يعلن تفهُّمه للأمر ، ثم قال :

ــ المهم أن تتقبَّل ذلك .

تنبَّه (رمزى) فجأة إلى نقطة عجيبة ، فهتف :

ــ مهلًا .. إنك تتحدَّث معى الآن بطلاقة عجيبة ، على عكس حديثك المتوتِّر المتقطِّع فى البداية ، فماذا حدث بالضبط ؟

أجابه المخلوق فى هدوء :

ــ لقد اكتملت دراستى للغتكم فى أثناء حديثنا .. أيبدو لك هذا عجيبًا ؟!

غمغم (رمزى) وهو يمطُّ شفتيه :

ــ كلَّا .. إنه لايبدو لى كذلك .

صمت المخلوق لحظة ، قبل أن يقول :

ــ حسنًا .. فلنعُد إلى حديثنا .. لقد كان أملنا فى البداية أن ننتقل إلى كوكبك فى حملة سلمية ، وأن يحدث تعايش سلمى بيننا وبين بنى جنسك ، ثم تبيَّنت لنا حقيقة تقلب كل ذلك رأسًا على عَقِب .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم استطرد :

ــ إنكم لا تقدِّرون أبدًا تلك المساحة الهائلة ، التى يحوزها كوكبكم من المياه ، فأنتم تصرُّون على تلويثها فى كل لحظة ، وبكل الوسائل .. إنكم تصبُّون مخلفاتكم ونفاياتكم فى البحار والمحيطات ، وتجرون عشرات التجارب على التفجيرات النووية ، والهيدروجينية ، وما يفُوق ذلك فى أعماق البحار ، ولديكم سفن وطائرات ، تلقى مخلفاتها فى لامبالاة فى البحار والمحيطات .. وكل هذا يؤذى قومنا .

خُيِّل لـ (رمزى) أن صوت المخلوق قد اكتسى بصرامة عجيبة ، وهو يُرْدِف :

ــ باختصار .. إن جنسكم يمثِّل خطرًا بالغًا على جنسنا .

هتف (رمزى) فى توتُّر :

ـــ ولكنه كوكبنا ، ونحن وحدنا أصحاب الحق فى كل ما عليه .

قال المخلوق فى حدَّة مفاجئة :

ـــ خطأ .. إن استهتاركم وإهمالكم يحطِّمان حياة المائيين فى شدة وعنف .. إنكم لا تستحقون حيازة كل هذه المساحات المائية .. إنكم شعب برِّىّ ، ولستم شعبًا بحريًّا ..

هتف (رمزى) :

ـــ ولكن الماء هو عماد حياتنا .

صاح المخلوق :

ـــ لِمَ تفسدونه إذن ؟

لوَّح (رمزى) بذراعه ، وهو يهتف :

ـــ هذا شأننا ، وحقُّنا .

صاح المخلوق فى صرامة :

ـــ كلَّا .. ليس هذا حقكم .

ثم أردف فى حزم :

ـــ إنه حقُّنا نحن .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ يا له من منطق استعمارىٍّ بغيض !!

قال المخلوق فى برود :

ـــ يمكنك تصنيفه كيفما تشاء ، ولكن هذا الكوكب لن يحتملنا معًا .

شحب وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـــ ماذا تعْنِى ؟

مرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول المخلوق فى برود :

ـــ أعْنِى ـــ وبكل بساطة ـــ أن هذا الكوكب لا يحتمل شعبينا معًا .

ثم اكتسى صوته مرَّة أخرى بالصرامة ، وهو يُرْدِف :

ـــ ولقد قرَّرنا ـــ لكى يحيا شعبنا ـــ أن نقتل شعبك .. أن نبيده عن آخره .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعْر ، وتراجع فى فَزَع ، وهو يغمغم :

ـــ تبيدوننا ؟!..

أجاب المخلوق فى برود :

ـــ نعم .. نبيدكم جميعًا .. هذه هى الوسيلة الوحيدة لبقاء شعبنا .

ألجمت المفاجأة لسان (رمزى) لحظات ، قبل أن يغمغم فى صوت مختنق :

ـ ومن قال : إنه سيمكنكم ذلك ؟.. إن (س ١٨) يطوف بالسفينة الفضائية الأرغورانية حول الأرض ، ومهمته لا تقتصر على منع غزوها من خارجها فحسب ، وإنما تمتد إلى منع أى نوع من الحروب داخلها ، وهو لن يسمح لكم بإطلاق قذيفة واحدة .

فى هذه المرَّة ، ارتسمت ابتسامة واضحة على شفتى المخلوق الرقيقتين ، وهو يقول :

ـ ومن قال إننا سنفعل ؟.. إننا لن نطلق قذيفة واحدة .. بل إن كل ما سنفعله هو أن نساعدكم على النُموّ .

لم يفهم (رمزى) العبارة ، فعقد حاجبيه فى حَيْرة ، على حين استطرد المخلوق فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ النُمو حتى الموت ..

* * *



٩ ـ المحاولة الأخيرة ..

عقد قبطان (الهوفركرافت) حاجبيه فى حنق ، وهو يراقب آخر طوَّافات المخابرات العلمية المصرية ، وهى تنقل آخر الركَّاب ، ثم أدار عينيه إلى اليسار ، حيث يتمّ إعداد الغوَّاصة الثالثة (ق ـ ٣) ، للغوص فى الأعماق ، وقال فى حِدَّة :

ـ خطأ .. كل ما يحدث خطأ .

التفت إليه الدكتور (محمد حجازى) ، وسأله فى هدوء :

ـ ما الخطأ الذى تعْنِيه ؟

لوَّح القبطان بذراعه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ كل هذا خطأ .. حتى موافقة المسئولين فى الشركة ، على منحكم غوَّاصة ثالثة ، نوع من الحماقة والخطإ .

سأله الدكتور (محمد حجازى) فى هدوء :

ـ لماذا ؟

هتف فى حَنَق :

ـ لأننا لا ندرى ماذا يحدث فى أسفل .. لقد هبطت غوَّاصة أولى ، واختفى الصِّبية الثلاثة ، الذين كانوا داخلها ،

ثم عادت إلينا مشقوقة على نحو مخيف ، وكأنها قطعة من الزُّبد قطعها سكّين حادّ ، وبعدها هبطت غوّاصة أخرى ، تحمل رجلين من رجالكم بلغ بهما الحماس مبلغه ، فأصابها ما أصاب الأولى ، واختفى راكباها .. وإنى لأتساءل : كيف يمكن لك أن تكرِّر الخطأ نفسه ؟

أجابه الدكتور (محمد حجازى) فى صوت عميق :

ـ لأنه واجبى .

تطلّع إليه القُبْطان فى دهشة ، وهو يردّد :

ـ واجبك ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم أيها القبطان .. إنه واجبى .

وترقرقت فى عينيه دمعة حارّة ، وهو يردف :

ـ قد يُدهشك أننى لست أحد رجال المخابرات العلمية ، بل أنا فى الواقع طبيب شرعى .. كبير الأطباء الشرعيين فى (مصر) ، وعضو منتدب بإحدى فرق المخابرات العلمية المصرية ، وهو فريق نادر ، بدأ فى الانهيار مثل ما يقرب من عام كامل .. فقائد هذا الفريق هو الرائد (نور الدين) ، الذى يرقد مع زوجته فى غيبوبة كاملة منذ عام ، وتلك الصبيّة ، التى

اختفت فى الغوّاصة الأولى ، هى ابنتهما ، وهذان الرجلان ، اللذان خاطرا بروحيهما لاستعادتها هما عضوا الفريق .. ولتعلم أيها القبطان أن هذا الفريق من أعظم فرق المخابرات فى العالم ، وأن أفراده قد خاطروا بأرواحهم وأنفسهم عشرات المرّات ؛ ليحافظوا على حياتك وحياتى ، وليذُودُوا عن وطنهم تارة وعن العالم تارة أخرى ، ومن حقّهم علينا ، حينما يواجهون الخطر ، أن نفعل كل ما بوسعنا للذَّوْد عنهم .. إنهم يستحقُّون منّا ذلك .. أليس كذلك ؟

صمت القُبْطان طويلًا ، وشرد ببصره بعيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ بلَى .. إنهم يستحقون ذلك .

وأشار بيده ، مستطردًا :

ـ هيّا .. لابدّ لنا من إعداد الغوّاصة فى أسرع وقت ، فستستغرق رحلتنا طويلًا .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ رحلتنا ؟!

أجابه فى حزم :

ـ بالطبع .. هل تصوَّرت أننى سأسمح لك بالذهاب

وحدك ؟.. صحيح أن كل ما يحدث عبارة عن حماقة ، إلّا أننى أرفض أن أتميّز عن الآخرين دومًا ، وما دامت الحماقة قد أصابتهم جميعًا ، فلِمَ أتميّز أنا ؟

التمعت عينا الدكتور (حجازى) ببريق اللّهفة ، على حين استطرد القبطان :

— إنهم يستحقّون ذلك .. أليس كذلك ؟

* * *

حدّق (رمزى) فى وجه المخلوق المائىّ فى دهشة ، وهو يسأله فى حَيْرة :

— ماذا تقصد بقولك : إنك ستجعل أهل الأرض ينمُون حتى الموت ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

— الحرب الكيميائية أيها الأرضى .. هكذا تطلقون عليها .. أليس كذلك ؟

عاد (رمزى) يسأله فى عصبيّة :

— ماذا تعْنى ؟

أجابه المخلوق فى هدوء :

— منذ علمنا بأمر الكارثة ، التى ينتظرها كوكبنا ، رُحنا

نجرى أبحاثنا فى اتجاهين .. أوّلهما : هو كيفية التغلّب على تلك السفينة الفضائية ، التى ستعترض حتمًا سفن كوكبنا ، حينما تأتى إلى هنا .. وثانيهما : هو كيف يمكننا القضاء على سكّان كوكب الأرض ، بوسيلة لا تستثير تلك السفينة الحارسة .. ولقد حققْنا ثانيًا قبل أوّلًا .. وجدنا الوسيلة .

صمت لحظة ، كاد (رمزى) خلالها يقضى فضولًا ، قبل أن يستطرد :

— وسيلة كيميائية متطوِّرة .. عقّار رائع ، له نفس كثافة الماء ، بالإضافة إلى خواص أخرى ستدهشك ، فهو يدفع أجسادكم إلى النمو فى سرعة مخيفة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

— أتقصد أننا سنتحوَّل إلى عمالقة ؟

هزَّ المخلوق رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

— بل إلى كهول .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعر ، وقد أدرك فداحة الموقف ، وانعقد لسانه ، فلم ينطق بحرف واحد ، والمخلوق المائىّ يستطرد :

— إننا سنُطلق عقّارنا فى البحر ، وبخواصّه النادرة سيتبخّر

مع المياه التى تبخرها أشعة الشمس ، ويختلط بالسحب ، ثم يهبط مع الأمطار فى منابع الأنهار ، وينطلق ليروى المزروعات ، ولترتووا منه أنتم .. وفجأة تبدءُون فى النمو .. الطفل سيصبح شابًّا بعد الجرعة الأولى ، والرجل يتحوَّل إلى كهل ، والكهل يذبل ويموت .. وما هى إلا إيام ، ويفنَى كل سكَّان الأرض بالشيخوخة ، قبل أن يدركوا من أين أتاهم الموت .

غمغم (رمزى) فى ارتياع :

ـ ياللبشاعة !!

هتف المخلوق :

ـ بل قُلْ ياللرَّوعة !! إن عقَّارنا سيتيح لنا السيطرة على كوكبك كله فى أقلّ من أسبوع ، حينما تكتمل تجاربنا عليه .

شحب وجه (رمزى) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ إنك تكذب .. لا وجود لمثل هذا العقَّار .. إنك تكذب .

ارتسمت ابتسامة على شفتى المخلوق ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم اتجه نحو حوض زجاجىّ مغطًّى ، وكشف عنه الغطاء ، وهو يقول :

ـ أتعلم ما هذا ؟

حدَّق (رمزى) فى جسد عجوز متغضّن ، يرقد داخل الحوض ، وملامحه تشفُّ عن خُلُوّ جسده من الروح ، وغمغم :

ـ تقصد من هذا ؟.. لست أدرى .. إنه عجوز فى السبعين على الأقل .

ابتسم المخلوق ، وقال :

ـ بل هو أحد الصَّبيَّين ، اللذين أخذناهما من الغوَّاصة الأولى ، بعد أن أعطيناه جرعة كبيرة من العقَّار .

تراجع (رمزى) فى رُعْب ، وهو يهتف :

ـ أحد الصَّبيَّيْن ؟!.. يا إلٰهى !!

واتسعت عيناه ذُعْرًا ، وهو يستطرد :

ـ وأين (نشوى) ؟!.. ماذا أصاب (نشوى) ؟

سأله المخلوق فى اهتمام :

أتقصد الصَّبيَّة ؟

أومأ (رمزى) برأسه فى ارتياع ، فأشار المخلوق إلى حوض آخر ، وهو يقول :

ـ إنها هنا .

ثم اتجه نحو الحوض ، ليرفع عنه الغطاء ، فتجمَّدت أطراف (رمزى) ، وارتجف فى شدة ، وهو يخشى أن يجد داخل الحوض عجوزًا شمطاء ، ثم لم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح ، وخفق قلبه فى اطمئنان ، حينما رفع المخلوق الغطاء ، فوجد (رمزى) (نشوى) ترقد داخله ، بجسد طفلة فى العاشرة ، استغرقت فى نوم عميق ، وهتف (رمزى) :

ـ حمدًا لله .. إنها بخير .

قال المخلوق فى هدوء ، وهو يشير إليها :

ـ إننا ندَّخرها لتجربة أخرى .

صاح (رمزى) فى ارتياع :

ـ كلَّا .. ليس (نشوى) .

ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى برود :

ـ لماذا ؟.. إنها ستكون أولى تجاربنا على أنثى .

ثم رفع يده ، مطلقًا عبارة بلغته الخشنة الجافة ، فحمل أحد المخلوقات الأخرى شيئًا يشبه قنينة صغيرة ، واتجه إلى حيث ترقد (نشوى) ..

وارتجف جسد (رمزى) فى ذُعر ..



وخفق قلبه فى اطمئنان ، حينما رفع المخلوق الغطاء ، فوجد (رمزى) (نشوى) ترقد داخله ، بجسد طفلة فى العاشرة ، استغرقت فى نوم عميق ..

هل سيتركهم يفعلون ذلك بـ (نشوى) ؟..
هل سيتركهم يفعلون ذلك بكوكب الأرض ..
كلّا ..

إنه سيمنعهم ..
سيمنعهم مهما كلّفه الأمر ..

وفى سرعة وحزم ، اتجه بصره إلى إحدى الكُـرَات اللامعة ، التى رأى المخلوقات تطلقها نحو الغوّاصة ، فقفز نحوها والتقطها ، وهو يهتف :

ـ كلّا .. لن تفعلوا .. لن تفعلوا ..

وفجأة .. كشف أنه لا يعلم كيف يطلقون تلك الكُرَة المصمطة ..

وارتجف جسده مرّة أخرى ، حينما رأى كُرات المخلوقات ترتفع نحوه ..
ارتجف فى قوّة ..

* * *

١٠ ــ نهاية الجزء الأوَّل ..

فجأة .. أدرك (رمزى) كيف يُطلق تلك الكُرَة اللامعة ..
قد تكون مصادفة بحتة ..
أو هو عمل القدر ..
المهم أنه قد أدرك ذلك بغتة ..

لقد لاحظ فى غمرة توتُّره ، دائرتين باهتتين ، على جانبى الكُرَة ، التى يُمسك بها ، وثقب دقيق بينهما ، فاحتوى الكُرَة فى راحته فى سرعة ، وضغط الدائرتين على جانبيها بسبَّابته وإبهامه ، فانطلق خيط من أشعة زرقاء من ذلك الثقب بينهما ، أصاب ذلك المخلوق ، الذى يتقدَّم نحو (نشوى) ، فى صدره ، فدفعه إلى الوراء ، وأسقطه جثة هامدة ..

وهنا سرَت موجة من الغضب بين المخلوقات الأخرى ، وانطلقت خيوط أسلحتهم الزرقاء نحو (رمزى) ، الذى مال جانبًا ، وقفز متفاديًا خيوط الأشعة العديدة ، وبدا له الأمر أشبه بالحلم .. أو بالكابوس ، وهو يطلق أشعة كُرتـه نحو صدورهم وأجسادهم ..

ثم اخترق خيط من الأشعة ساعده ..

صرخ متألمًا ، وحاول أن يواصل القتال ، إلّا أنَّ خيطًا آخر من الأشعة أصاب ساقه ، فتهاوَى صارخًا ، ورأى الكُرَات تتجه إليه ، فصرخ فى مرارة :

ـــ فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .. سأموت راضيًا من أجل كوكب الأرض .

وبدا واضحًا أنها النهاية ..

* * *

لأوَّل مرَّة منذ قدومه ، عجز الدكتور (محمد حجازى) عن الاحتفاظ بذلك القناع الهادئ على وجهه ، وهو يتطلَّع إلى ساعته ، مغمغمًا فى توتُّر :

ـــ كم يستغرق إعداد تلك الغوَّاصة ؟.. إننا ننتظرها منذ ساعتين !

أجابه القبطان فى هدوء :

ـــ اهدأ يا دكتور (حجازى) .. سيستغرق إعداد تلك الغوَّاصة وقتًا أطول من سابقتيها .

هتف به الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـــ لماذا ؟

أجابه القبطان فى حزم :

ـــ لأننى قرَّرت أن أتحاشى كل ماحدث للغــواصتين السابقتين .. إن الدلائل كلها تشير إلى أن الشىء الذى هاجم الغواصتين ، قد اعتمد على عدم وجود آلات تصوير على سطحها ؛ لذا فقد كان يتسلَّل إلى السطح ، ويفصل كابلات آلات التصوير أوَّلًا .. ولهذا أمرت بإضافة آلات تصوير على السطح أيضًا ، كما أمرت بتغطية جدران الغوَّاصة الخارجية بالمرايا .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـــ ولماذا ؟

ابتسم القبطان ، وهو يقول .

ـــ حتى تعكس تلك الأشـعة ، التى يستخدمونها لشقِّ الجدران .. هكذا قال خبير الأشعة التابع لكم .

ثم تنهَّد ، قبل أن يردف :

ـــ إننى أحاول أن أزيد من فرص نجاحنا .. وهذا أفضل .

* * *

كانت ثقوب كل الكُـرَات اللامعــة مصوَّبــة نحو (رمزى) ..

وكان هو يستعدُّ حقًّا للموت ..

وفجأة .. اعترض ذلك المخلوق ، الذى يتحدَّث العربية ، الطريق ، وحال بينه وبين طلقات الأشعة الزرقاء القاتلة ، وهو يهتف برفاقه ، مستخدمًا لغتهم الخشنة الجافة ، ثم استدار إلى (رمزى) ، قائلًا بالعربية :

ـــ لن يقتلوك أيها الأرضىّ .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يرفع كُرته نحوه ، قائلًا فى حِدَّة :

ـــ قد أقتلهم أنا .

هزَّ المخلوق رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ سيكون من المؤسف أن تحاول .

ثم أشار إلى جسد (محمود) ، المتصل بعشرات الأنابيب الشفَّافة الدقيقة ، والذى يسبح فى أعماق الحوض الضخم ، وأضاف :

ـــ ستكون حياة زميلك هى الثمن .. آنذاك .

هتف (رمزى) فى حَنَق :

ـــ وستكون حياة الأرض كلها هى الثمن ، لو لم أحاول .

ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لن تفيد محاولتك .

وفجأة .. تألَّقت الكُرَة اللامعة بين أصابع (رمزى) ، وانبعثت منها حرارة هائلة ، جعلته يلقيها بعيدًا ، وهو يصرخ فى ألم ، وأدهشه أن رآها تتحوَّل إلى كُومَة من الرماد ، قبل أن تسقط أرضًا ، فهتف فى دهشة :

ـــ كيف فعلت هذا ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ إننى لم أفعل شيئًا .. رجال الأمن الآليُّون فعلوا .

لم يفهم (رمزى) معنى العبارة فى البداية ، ثم لم يلبث أن فهمه تمامًا ، حينما فوجئ بذراعين معدنيين يطوِّقان وسطه من الخلف ، ورأى المخلوق يبتسم فى ثقة وشماتة ، وهو يردف :

ـــ لم يستدعهم أحد بالطبع .. نشوب القتال بيننا هو الذى أتى بهم .

شعر (رمزى) برغبة قويَّة فى البكاء ، وهو يجد نفسه عاجزًا على هذا النحو ، بين ذراعى رجل الأمن الآلىّ الفولاذيتين ، فغمغم فى مرارة :

ـــ لماذا طلبت من رفاقك ألا يقتلونى ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

ـــ إن لى أسبابى .

ثم أشار إلى أحد زملائه ، وألقى عبارة بلغته الخشنة الجافة ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) ، قائلًا :



شعر (رمزى) برغبة قويّة فى البكاء ، وهو يجد نفسه عاجزًا على هذا النحو ، بين ذراعى رجل الأمن الآلىّ الفولاذيتين ..

ـ لن يمكننا الانتظار هنا طويلًا ، فلابدَّ لنا من الغوص قليلًا فى الأعماق ، لاستعادة نشاطنا .. وقبل أن نتركك ، ستشاهد بنفسك أثر عقّارنا .

اتسعت عينا (رمزى) فى رُعْب ، حينما رأى أحد هذه المخلوقات يتجه نحو (نشوى) ، ويفتح شفتيها الصغيرتين ، ثم يضع بينهما نقطة واحدة من العقّار ..

وفجأة .. فتحت (نشوى) عينيها ، وبدا وكأنها تتألّم فى شدة ، قبل أن تهتف :

ـ أبى .. أمى ..

ثم أطلقت صرخة مدوِّية ..

صرخة إنسان يحتضر ..

* * *

تعالَى وقع أقدام الطبيب المعالج لـ(نور) و (سلوى) ، وهو يعْدُو عَبْرَ رواق المستشفى الطويل ، والانفعال يملأ كل خلجة من خلجاته ، قبل أن يقتحم حجرة كبير الأطباء ، الذى يجتمع بطاقم الأطباء ، ويهتف بصوت لاهث :

ـ سيِّدى .. تطوُّر خطير يا سيِّدى .. بالغ الخطورة .

استدار إليه طاقم الأطباء فى قلق ، وهتف به كبير الأطباء فى لهفة :

ـ هل عادت إليهما الظاهرة على نحو أقوى ؟

أومأ الطبيب الشاب برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى انفعال قوىّ :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد حدث ذلك فى البداية ، ثم.....

لهث لحظة من شدة الانفعال ، فصاح به كبير الأطباء ، فى لهجة مَنْ لم يطق صبرًا :

ـ ثم ماذا ؟

اتسعت عينا الطبيب الشاب ، وهو يهتف :

ـ لقد استيقظا يا سيِّدى .. لقد استعاد الرائد (نور) وزوجته وعيهما ..

نعم ..

لقد استيقظا ..

لقد أيقظتهما صرخة ..

صرخة سمعها قلباهما ، من عمق كيلومترين ، تحت سطح المحيط الأطلنطى ..

وبدأت جولة جديدة ..

جولة بين سادة المخابرات العلمية .. وسادة الأعماق ..

* * *

[انتهى الجزء الأوَّل]

[ويليه الجزء الثانى (المحيط الملتهب)]